

<https://www.doi.org/10.31918/twejer.2032.13>

e-ISSN (2617-0752)

p-ISSN (2617-0744)



مركزية الإنسان في بناء الشخصية المسلمة

دراسة موضوعية للآيات التي ورد نداء الله تعالى فيها بـ(أيها الناس)

د. جعفر نجم الدين علي گواني

مخمور - جامعة صلاح الدين - أربيل - كلية التربية

Jaafar.Ali@su.edu.krd

ملخص:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ(مركزية الإنسان في بناء الشخصية المسلمة) الآيات التي ورد فيها نداء الله تعالى بـ(يا أيها الناس)، وهي تسعة عشر آية، تتعلق برسالة الإسلام الإنسانية، والتي كثر الحديث عنها في أيامنا هذه على مستوى العالم. ومن خلال تفسير تلك الآيات نعمل على بيان مدى عمومية خطاب القرآن، وشمولية رسالته ورحمتها إلى الناس كافة. ومع أن الخطاب في بعض تلك النداءات عام، وفي بعضها الآخر خاص لأناس معينين وقت نزولها، لكن العموم مراد في الجميع. وبهذا تناول البشرية بأكملها. وفي اختيار (الناس) بدل غيره من العقائد والعرقيات لفتة تربوية إلى ضرورة اختيار المساحات المشتركة، والتعاون على الالتزام بها. كما تتضمن تلك الآيات رسائل إنسانية، كالأخوة الإنسانية، والتقارب بين الناس عن طريق التعارف، وأداء حقوق الله تعالى وحقوق الناس المادية والمعنوية، والابتعاد عن الاستعباد وظلم الآخرين. وانطلقت تلك الرسائل من رسالة الإسلام الإنسانية والعالمية. ويمكن تربية الأجيال القادمة تربية روحية وأخلاقية عالمية في ظل تلك الرسائل المعبرة عن جوهر الإسلام.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث، المبحث الأول تمهيد في بيان مقدمات البحث، ويتضمن المبحث الثاني محاور الإنسان في الآيات التي ورد فيها نداء الله بـ(يا أيها الناس)، ويتحدث المبحث الثالث عن رسالة الإسلام الإنسانية، ويتكون كل مبحث من ثلاثة مطالب.

الكلمات المفتاحية: النداء بالناس، التربية الإنسانية، شمولية الخطاب، رسالة الإسلام الإنسانية، الأخوة الإنسانية

مركزية الإنسان في بناء الشخصية المسلمة

دراسة موضوعية للآيات التي ورد نداء الله تعالى فيها بـ(أيها الناس)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد: فمما لا شك فيه أنّ المسلمين اليوم يمرّون بواحدة من أصعب فترات تاريخهم من التمزّق والتشتّت والتقاتل: إذ نرى يوميًا مشاهد مأساوية يشيب لها الرأس، وتبكي العيون، ويصبح الإنسان حيران في تفسير دوافعها. كما أنّ الفساد تفشّى كعدوى خطيرة في جسد الأمة، حتّى صار أكل المال العام والإبداع في طرق السرقة سمة بارزة لا يمكن إخفاؤها مهما حاول السارقون، وتفنّن فيه المتفنّنون، والغريب أنّ الجميع يصيحون بالدفاع عن الإسلام، وحماية كرامة الإنسان، وهما الضحية الحقيقية في الواقع، فلم يتضرّر الإسلام عبر تاريخه بمثل ما تضرّر به اليوم من القتل والإرهاب تحت مسميات مقنّعة من إعادة الخلافة، والدفاع عن الحق، ومثله أكل أموال الناس تحت شعارات فضفاضة. وفي المقابل هناك من وجدوا ضالّتهم للتهجم على الإسلام، واتّهامه بمعاداة الإنسانية. ومن المؤسف أنّ هذا الوضع دفع بمجموعة من الناس إلى اليأس من واقعهم المحزن، واعتزال بعضهم الآخر عن مشهد الحياة، وهجرة بعضهم إلى بلدان أخرى وهم علماء وأصحاب الخبرات العالية من العلوم والمعارف، وهناك مشاهد يومية من موت الشباب في طريقهم إلى البلدان الغربية، كما أنّ البعض ركب الموج في اتّهام الإسلام.

ومحاولة في البحث عن سبل النجاة من هذا الجحيم توصّلت إلى أنّ تربية أبناء الأمة الإسلامية تربية إنسانية، في ظلّ رحمة الإسلام ورسالته الإنسانية، من أنجح العلاج وأسلمه. وهذا يحتاج إلى جهد جهيد، إلى تربية مستمرة تُغلّق فيها أبواب الأنانية والفساد وروح الانتقام، كما يعوز إلى التشجيع على النهوض بالأمة وعدم الرضى بالتبعية والتعبئة بروح الكراهية والتفرقة. وقد اخترت (مركزية

الإنسان في بناء الشخصية المسلمة) عنواناً للموضوع، متناولاً فيه الآيات التي ورد النداء من الله سبحانه به (الناس).

الدراسات السابقة

بعد البحث والتحرّي لم أجد أحداً أفرد هذا الموضوع وفي هذه الزاوية ببحثٍ مستقلّ، ولكن وجدت من من أدرجه ضمن دراسة أشمل، أو درسه في جانبٍ آخر، ومن أبرز هذه الدراسات:

١/ أسلوب النداء في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية في السور المدنية، عبد الرحمن بن أحمد المقرئ، المشرف: د. يوسف القماز، استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، ٢٠٠٧.

٢/ نداء الناس في القرآن الكريم: دراسة عقديّة، عبد الله بن دجين السّلهي، مجلّة جامعة الملك سعود، العدد الرابع والعشرون، جمادي الأولى/ ١٤٣٣ هـ - إبريل/ ٢٠١٢ م.

٣/ خطاب الناس في القرآن الكريم: قراءة في نوعيّة المضامين وأفاقها، عدنان أجانة، أقيمت هذه الورقة في ندوة: (الشريعة في أفق إنساني: الثابت والمتحوّل)، المنعقدة بالرباط بتاريخ ١١-١٢ إبريل ٢٠١٥ م.

٤/ النداء في القرآن الكريم بين الخصوص والعموم: سورة البقرة أنونجاً، مذكّرة مكّملة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي، إعداد: بديعة عوايطية، وفيروز طرشان. المشرف: الأستاذ: عبد الحميد عمروش. ٢٠١٧ م.

أسئلة البحث

١/ لماذا ينادي (سبحانه وتعالى) به (أيها الناس)؟.

٢/ من المراد بالناس في تلك الآيات؟

٣/ هل لتلك النداءات علاقة برسالة الإسلام الإنسانية؟

٤/ هل يمكن الاستفادة من النداء القرآني بـ(الناس) لتنشئة الأجيال القادمة على الأخوة؟

أهداف البحث

تتلخص أهداف البحث في الإجابة على أسئلته، ومن ثم المحاولة إلى:

١/ إبراز شمولية رسالة الإسلام وعالميتها.

٢/ بيان أن الإسلام جاء ليخاطب الجميع، ويحاور الجميع، ويوصل رحمته إلى الجميع.

٣/ المساهمة في تقليل ثغرات الفرق بين الناس عامة والمسلمين خاصة.

منهج البحث

المنهج الذي سأسير عليه موضوعي تحليلي، أجمع الآيات التي ورد نداء الله فيها بـ(الناس) جميعها، وأبحث عن المقصود في تلك النداءات، وذلك بالاعتماد على المصادر والمراجع الإسلامية، وسياق الآيات، هل هي عامة أو خاصة، ثم أركز على استخراج الدروس المتعلقة بموضوعنا، وأبحث عن أهم الرسائل الإنسانية المشتركة المستنبطة، ثم كون هذه الرسالة إنسانية، وذات رحمة للناس جميعاً، كل ذلك من خلال آيات الكتاب الحكيم التي ورد فيها نداء الله تعالى بـ(يا أيها الناس)، ولن أخرج منها إلا في الجزء الأخير، فأذكر نماذج من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كشواهد عملية تطبيقية.

خطة البحث

يتكوّن البحث من مقدّمة وتمهيد ومبحثين وعدّة مطالب وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع والخلاصة، على النحو الآتي:

المقدمة

المبحث الأول: تمهيدٌ في مقدّمات متعلّقة بالمبحث

المطلب الأول: التعريف بمفردات العنوان

المطلب الثاني: صفات الإنسان في القرآن

المطلب الثالث: الآيات التي ورد فيها نداء الله بـ(يا أيّها النّاس) في القرآن الكريم

المبحث الأول: محاورّة الإنسان في نداء الله تعالى بـ(يا أيّها النّاس) في القرآن الكريم

المطلب الأول: المقصود بالخطاب الحوارى في نداء الله بـ(يا أيّها النّاس) في القرآن الكريم

المطلب الثاني: دلالة لفظة النّاس بين العموم والخصوص في نداء الله بـ(يا أيّها النّاس)

المطلب الثالث: رسائل إنسانيّة مشتركة في نداء الله بـ(النّاس) في القرآن الكريم

المبحث الثاني: رسالة الإسلام الإنسانيّة في نداء الله بـ (يا أيّها النّاس)

المطلب الأول: إنسانيّة الرّسالة الإسلاميّة في نداء الله بـ(أيّها النّاس)

المطلب الثاني: رحمة الرّسالة الإسلاميّة في نداء الله بـ(أيّها النّاس)

المطلب الثالث: نماذج تطبيقيّة في حياة الرّسول الأكرم (صلّى الله عليه وسلّم)

الخاتمة

التوصية

المصادر والمراجع

الخلاصة باللغة الكوردية

الخلاصة باللغة العربية

وصلّى الله على سيّدنا محمّد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

المبحث الأول: تمهيد في مقدّمات متعلّقة بالبحث

يتناول هذا المبحث التمهيد ثلاثاً مطالب وهي بمثابة مقدّمات للبحث، يختصّ المطلب الأوّل بتعريف مفردات العنوان من (المركزيّة، والنّاس، والإنسان، والشّخصيّة، والنّداء)، حتّى يستخلص منها مفهوم دقيق لما هو المطلوب في البحث، ويأتي المطلب الثّاني لبيان صفات الإنسان في القرآن، والمطلب الثّالث لذكر عدد الآيات التي ورد فيها نداء الله (يا أيّها النّاس) في القرآن الكريم.

المطلب الأوّل: التعريف بمفردات العنوان

١/ المركزيّة

(المركزيّة) اسمٌ منسوبٌ، أصله (مركز)، مأخوذٌ من (ركز) بمعنى إثبات شيءٍ في شيءٍ، ويقال: ارتكز، أي: اعتمد عليه. (ابن فارس، (١٩٧٩م)، ٤٣٣/٢. و: محمّد الرّازي، (١٩٩٩م)، ١٢٧). والمركز اسم مكان، معناه: الوسط، والموضع، والمحلّ. وهو مَقَرٌّ ثابتٌ تنفرّع منه فروعٌ، وكلّها تابعة للموضع الرّئيسي. والمركزيّة كمصطلحٍ سياسيٍ معناها: نظام يقتضي تبعيّة البلاد لمقرّ رئيسيّ واحد. (مرتضى الرّبيدي، (بدون تاريخ)، ١٥/١٥٨. و: مجمع اللّغة العربيّة، (٢٠١١م)، ٩٣٥/٢).

ونقصد بالمركزية هنا: كون الإنسان في المحلّ الوسط بحيث يكون محوراً للأحكام والقرارات الصادرة في القرآن الكريم، غاية نيل سعادة الدارين.

٢ / الناس

اختلف في أصل النَّاس: هل هو مهموز الفاء من (أنس) أو معتلّ العين من (نوس)، أو اللّام من (نسي)؟ فعلى الأوّل قيل: أصله (أنّاس)، مشتقّ من الإنسان؛ للإنسان بهم، وحذف فاءه بعدما أدخل عليه الألف واللام، كما حذفت الهمزة من إله لما دخلته "الـ" على أحد الأقوال، أو خففت الهمزة، ثمّ أدغمت اللّام في النّون، وصار (النّاس). (الأصفهاني، (٢٠٠٩م). ٨٢٧. والحلي، (١٩٩٦م)، ٤ / ٢٣٣. والحميري، (١٩٩٩م)، ١٠ / ٦٧٩٢).

وقيل: هو معتلّ اللّام، من (نسي)، وأصله إنسيان، على وزن إفعلان، وذلك لأن العرب قاطبة قالوا في تصغيره: (أنّيسان)، فدلّت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره، إلّا أنّهم حذفوها لما كثر النَّاس في كلامهم. وقيل: أصله من (نسي)، من النّسيان، فقلبت الكلمة: بأنّ قدّمت لامها وأخّرت عينها، فصار (نيساً)، ثمّ قلبت الياء ألفاً، فصار (ناس)، وزيد الألف واللام للتّعريف، فصار (النّاس). ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنّه قال: إنّما سمّي الإنسان إنساناً؛ لأنّه عُهِدَ إليه فنسي. (الأصفهاني، (٢٠٠٩م). ٨٢٧. ٤ / ٢٣٣. وابن منظور، (١٤٤١هـ)، ٦ / ١٠. والحلي، (١٩٩٦م).

ورأي ثالث يرى أنّ أصله معتلّ العين، من (ناس ينوس)، إذا اضطرب، ويقال ناس الشيء ينوس نوساً ونوساناً، أي تحرّك وتذبذب متدليلاً. و(ناس) أصله (نوس)، فلمّا تحرّكت الواو وانفتح ما قبلها قلبت الفاء ألفاً، وتصغيره على ذلك (نويس). (الأصفهاني، (٢٠٠٩م)، ٨٢٧. وابن منظور، (١٤٤١هـ)، ٦ / ٢٤٥. والحلي، (١٩٩٦م)، ٤ / ٢٣٣).

والنّاس في القرآن الكريم يطلق معنىً على (بني آدم)، أو هو اسم للّجمع من بني آدم، واحده إنسان من غير لفظه، كما في قوله تعالى: {يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى} [الحجرات: ١٣]. وقد يختصّ به بعض النّاس لحكمة ما، كما في

التَّنْزِيلُ الْعَزِيزُ {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ} [البقرة: ١٣]، فالنَّاسُ هنا يُرَادُ بِهِ الْفَضْلَاءُ دُونَ غَيْرِهِمْ، مُرَاعَاةً لِمَعْنَى الْإِنْسَانِيَّةِ، وَهُوَ وَجُودُ الْعَقْلِ، وَالذِّكْرِ، وَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمَعَانِي الْمَخْتَصَّةِ بِهِ. (الأصفهاني، (٢٠٠٩م)، ٨٢٧. والحميري، (١٩٩٩م)، ١٠ / ٦٧٩٢. ومجمع اللغة العربية، (٢٠١١م)، ٢ / ٩٦٢).

ومن المواضع الَّتِي جَاءَ (النَّاسُ) فِيهَا مُرَادًّا بِهِ بَعْضُ النَّاسِ لَا كُلَّهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} [آل عمران: ١٧٣]. فاللفظ عَامٌّ، وَالْمَعْنَى مَخْصُوصٌ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا لَهُمْ وَلَمْ يَخْبُرُوهُمْ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَجْمَعْ لَهُمُ النَّاسَ كُلَّهُمْ. (العسكري، (٢٠٠٧م)، ٤٦٥).

ومن هَذَا الْقَبِيلِ جَاءَ النَّدَاءُ الْقِرَائِيُّ بِالنَّاسِ خُطَابًا لِفَتَاتٍ مَعْيِنَةٍ دُونَ غَيْرِهَا، لَكِنَّ التَّعْبِيرَ بِالنَّاسِ يَتَوَجَّهُ إِلَى حِكْمَةٍ مَعْيِنَةٍ تَخْرُجُهُ إِلَى دَائِرَةِ الْعُمُومِ، كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهَا فِي هَذَا الْبَحْثِ.

٣ / الإنسان

يخْتَلِفُ تَعْبِيرُ الْإِنْسَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنْ مُرَادِفَاتِهِ مِنَ (البشر)، و(الإنس)، و(بني آدم)، فَيَسْتَعْمَلُ لَفْظَ (البشر) إِذَا اسْتَهْدَفَ الظَّوَاهِرَ الْبَشَرِيَّةَ لِلْإِنْسَانِ، وَأَعْرَاضَهُ الْمَادِّيَّةَ، كَالْهَيْئَةِ وَالصُّورَةَ الْمَادِّيَّةَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْبَشَرَ مَأْخُودٌ مِنَ (البشرة)، وَهِيَ ظَاهِرُ الْجِلْدِ؛ لظُهُورِ جِلْدَةٍ مِنَ الشَّعْرِ، بِخِلَافِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي عَلَيْهَا الصُّوفُ أَوْ الشَّعْرُ أَوْ الْوَبَرُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الكهف: ١١٠]، الْمَقْصُودُ هُنَا الْجَانِبَ الْمَشْتَرَكَ الْمَادِّيَ بَيْنَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَغَيْرِهِ. (بنت الشاطئ، (بدون تاريخ)، ١٧. و: السامرائي، (٢٠١١)، ٢ / ١١٩).

وَيَسْتَعْمَلُ لَفْظَ (الإنس) أَيْضًا، وَهُوَ نَقِيضُ التَّوَحُّشِ، وَخِلَافُ النَّفُورِ، وَذَلِكَ فِي وَجْهِ التَّقَابُلِ مَعَ لَفْظِ (الجن)، الَّذِي يَدُلُّ أَصْلًا عَلَى الْخِفَاءِ، وَهُوَ قَرِينُ التَّوَحُّشِ، وَبِهَذَا يَتَمَيَّزُ جِنْسُ الْإِنْسَانِ عَنْ أَجْنَاسٍ أُخْرَى خَفِيَّةٍ سِوَاهُ كَانَتْ مِنَ الْجِنِّ أَوْ غَيْرِهِ.

(بنت الشاطئ، (بدون تاريخ)، ١٨. و: السامرائي، (٢٠١١م)، ١١٨. و: مركز تفسير، (١٤٤٠هـ)، ٣٢٥/٥).

أما (بنو آدم) ف جاء لتذكير الإنسان بأن له أصلاً واحداً، وهو آدم (عليه السلام)، وتذكير ما جرى بينه (عليه السلام) وإبليس، والحيثيات الملازمة للقصة، وذلك تحذيراً لهم مما وقع فيه آدم (عليه السلام)، أو تكريماً لهم كما كرم آدم (عليه السلام)، وأسجد له الملائكة. (السامرائي، (٢٠١١م)، ١٢١. و: مركز تفسير، (١٤٤٠هـ)، ٣٢٤/٥).

أما الإنسان فيسمو على التعبيرات الأخرى؛ إذ يستعمل إذا أريد وصفه بصفاتٍ مميزة، أي: لا يطلق الإنسان لمجرد انتماءه إلى فصيلة الإنس، أو ابتعاده عن البهيمة كما في (الإنس)، أو ظهوره وعدم خفائه كما في (البشر)، بل الإنسان ذو صفات يرتقي بها إلى الدرجة التي تؤهله للخلافة في الأرض، واحتمال تبعات التكليف وأمانة الإنسان، وهذا يعني أنّ الإنسان في نظر القرآن جسمٌ وروحٌ، له جانبٌ ماديٌّ وشقٌّ معنويٌّ، والنظر إلى الإنسان لابدّ أن يحتوي على الجوانب كلّها. (بنت الشاطئ، (بدون تاريخ)، ١٩. و: السامرائي، (٢٠١١م)، ١٢٠/٢).

٤ / الشخصية

الشخصية لغة: من (شخص) بمعنى: ارتفع وبدأ، وضخم وعظم جسمه، وبمعنى: التعيين والتمييز، وعلى هذا فالشخصية صفاتٌ تميّز الشخص من غيره، ويُقال: فلان ذو شخصيةٍ قويّةٍ وذو صفاتٍ متميّزةٍ، وإرادةٍ، وكيانٍ مُستقلٍّ. (مجمع اللغة العربية، (٢٠١١م)، ١/ ٤٧٥). وحينما نقول ببناء الشخصية، أي: تربية الإنسان على أن يتّصف بصفاتٍ مميزةٍ، وإرادةٍ قويّةٍ في سبيل إرادة الخير للناس.

٥ / النداء

النداء لغةً من (ند ا)، ومعناه رفع الصوت وظهوره، وناداه أي صاح به. (الأصفهاني، (١٤١٢ هـ)، ٧٩٦). وفي الإصلاح البلاغي عبارة عن: طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروفٍ مخصوصةٍ. (السبكي، (٢٠٠٣م)، ١/ ٤٧٤).

وعلى هذا يكون النداء في القرآن الكريم طلب المخاطب الإقبال لما يقتضيه سياق النداء.

واستنتاجاً من تعريف مصطلحات البحث يتبين أنّ الغرض هو: البحث عن كيفية تربية الإنسان المسلم في سلوكه، وأخلاقه، وطريقة تعامله مع غيره، في جميع المناحي الجسدية، والروحية، والعقلية، والأخلاقية، والنفسية، والاجتماعية، والعاطفية، والجمالية، تربيةً تنمي فيه هذه الصفات المميزة، وبهذا يراعي الخيرية للناس، وتكريمهم، غاية نيل سعادة الدارين، وذلك في ضوء الآيات التي ورد فيها نداء الله إلى الناس بـ(يأيتها الناس).

المطلب الثاني: صفات الإنسان في القرآن

تحدث القرآن عن صفات كثيرة للإنسان، منها صفات يرفع من شأن الإنسان، ومنها صفات على الإنسان أخذ الحيطة والحذر في التعامل معها؛ كي لا ينزل عن جادة الصواب، ويفقد مهمته. وفيما يلي نذكر عدداً من كلا نوعي الصفات.

فخلق الله الإنسان في أحسن صورة، كما قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ} [التين: ٤]. وأسجد له الملائكة، كما قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} [البقرة: ٣٤]. وجعله خليفة في الأرض، وسيده، كما قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠]. وكلفه بعمارة الأرض كمهمة الاستخلاف، كما قال تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: ٦١]. وسخر له ما في السموات والأرض، كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [لقمان: ٢٠]. وجعل الإنسان محور الرسائل السماوية؛ إذ توالى الرسل، وتتابع الأنبياء، وأنزلت الكتب، وكلها تدور في محور واحد، وهو الإنسان، بما يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ} [آل عمران: ٣، ٤]. وقال تعالى: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلَمَّا يَأْتِينَكُم مِّنِي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً

ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٣، ١٢٤]. وفَضَّلَ اللهُ الإنسانَ على سائر المخلوقات، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠]، وغير ذلك من من الصفات التي منحها الإنسان تفضلاً وتكرماً، كالعقل، والعلم، والأخلاق، وتشريع الأحكام الضامن لحفظ ضروريات الإنسان الخمس، من حفظ (الدين، والعقل، والنفس، والنسل، والمال)، التي بها سعادة الدارين ورضى الله تعالى. (العقائد، (٢٠٠٥م)، ١٢. و: الزحيلي، (٢٠٠٥م)، ١٥-٥٦. و: الرّماح، (١٤٣٩هـ)، (١٦٧).

وعلاوةً على الصفات السابقة التي يجب الحفاظ عليها، له صفاتٌ أخرى، لو لم يتعامل معها تعاملاً إيجابياً، ويعالجها بالتوازن ستكون باباً نحو الهاوية، وفقدان الهوية الإنسانية، ولا سيما تكون عقبةً أمام أداء رسالته كإنسانٍ، منها خلقه من ماءٍ مهينٍ، كما قال تعالى: {الْمَ نَخْلُقُكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ} [المرسلات: ٢٠]. ومنها الضعف، كما قال تعالى: {وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا} [النساء: ٢٨]، والعجلة، كما قال تعالى: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} [الإسراء: ١١]، ومنها الجدل بالباطل والمماراة، كما قال تعالى: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف: ٥٤]، ومنها الجزع وقلة الصبر، كما قال تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا} [المعارج: ١٩]، ومنها الطغيان، كما قال تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [العلق: ٦، ٧]، ومنها المخاصمة، كما قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} [يس: ٧٧]، وغير ذلك من الصفات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم. (مركز تفسير، (١٤٤٠هـ)، ٥/٣٥٤-٣٦٣).

وبناءً على هذين النوعين من الصفات نجد أنَّ القرآن ركّز على حقيقتين اثنتين للإنسان: أصل الخلقة من ماء مهين، والهوية الإنسانية الكامنة في أنه مخلوقٌ مكرّمٌ على سائر المخلوقات؛ كي يتربّى الإنسان القرآني في ظلال هاتين الحقيقتين معاً، ويحقّق التوازن بينهما. ولأن يعيش أهل خير لنفسه وغيره، ويسلم الناس من لسانه ويده، ويكون في مستوى النهوض بمهمة الخلافة، وتسامي نفسه فوق ذاتها، والتخلّص من عكر الآفات الأخلاقية، وسموم الكبر والأنانية لا بدّ أن يكون ذا بصيرةٍ في التعامل مع هذه الصفات، بالاعتماد على رسالة الأنبياء في

الثَّرَكِيَّة، والثَّرَبِيَّة السَّلَوَكِيَّة، والنَّسْك والعبادات التَّهْذِيبِيَّة، واستخدام العقل، ومن هنا تبقى الصِّفَات المذكورة في دائرة الإيجابِيَّة. (البوطي، (٢٠٠٥م)، ٢٦، ٤٢).

وتختلف الإنسانِيَّة في نظر القرآن الكريم عن ادِّعاءات الإنسانِيَّة الَّتِي ينادي بها البعض في الغرب والشرق، ويرونها بديلاً عن الدِّين، ومحاولةً لجلب النَّاس نحو مزلق الإلحاد؛ لأنَّ الإنسانِيَّة في نظر القرآن مجموعةٌ من معاني الإحسان إلى البشر، وإعلاء قيمة الكرامة الإنسانِيَّة، والاهتمام بالإنسان عموماً، حيث تتَّسع الإنسانِيَّة القرآنيَّة الدُّنيا والآخرة، والرَّوْح والجسد، والفرد والمجتمع. والغاية "إقامة المجتمع الإنساني، بكلِّ ما يحتاج إليه من أصول التَّعاون، والتَّكافل، وتنسيق العلاقات والجهود" على الطَّريقة الَّتِي تراعي تحقيق الجوانب المختلفة للإنسان. (البوطي، (٢٠٠٥م)، ٢٨). أمَّا الإنسانِيَّة (أو الإنسانَوِيَّة) في نظر هؤلاء يقصد من خلالها إعلاء قيمة الإنسان ومكانته، وتُعرَّف بأنَّها: "عقيدة، مجموعة من السَّلوكيات، أو طريقةٌ للحياة متمركزة حول اهتمامات الإنسان أو قِيَمه، كفلسفةٍ ترفض ما فوق الطَّبيعة، تعتبر الإنسان موضوعاً طبيعياً، تؤكِّد على الكرامة الأساسِيَّة، وقيمة الإنسان، وقدرته على تحقيق الذات من خلال العقل والمنهج العلمي (التَّجريبِي)". (الرَّماح، (١٤٣٩هـ)، ٢٠). وفي الحقيقة يهدف هؤلاء إلى نسف الدِّين، وإزالة فكرة الألوهِيَّة، والالتزامات الدِّينيَّة، خصوصاً الإيمان بما وراء الطَّبيعة، ويرون ذلك عقبةً أمام الإنسان، وقد صرَّح بذلك (فريدريك نيتشه) الفيلسوف الألماني، وقال: "لو كان هناك إلهٌ فكيف كنت أطيع أن لا أكون إلهاً"، والألوهِيَّة في نظره عقبةٌ تحول دون تأكيد الإنسان لذاته، واستقلاله في الحياة، وامتلاكه للرفي والقوَّة. (الطَّعان، (٢٠٠٧م)، ٨٦).

وتقوم تلك النَّزعة الإنسانِيَّة على المبادئ الآتية: "١/ التَّوجُّه إلى الإنسان وحده، والانفصال عن تشريع الإله. ٢/ التَّعويل على العقل وحده، والانفصال عن توجيه الوحي. ٣/ التَّعلُّق بالحياة الدُّنيا وحدها، والانفصال عن أيَّة دلالةٍ أُخرويَّةٍ" (الرَّماح، (١٤٣٩هـ)، ٢٣).

وهناك فرقٌ بين تلك المنظَّمات الإنسانَوِيَّة الأيدولوجِيَّة والمنظَّمات الإنسانِيَّة الَّتِي تنشط في مجال حقوق الإنسان، والدِّفاع عن المظلومين، بعيداً عن المساس بعقيدة النَّاس، وبعيداً عن رفع شعار الإنسانِيَّة كأيدولوجيةٍ معاديَّةٍ للدِّين.

المطلب الثالث: الآيات التي ورد فيها نداء الله بـ(يا أيها الناس) في القرآن الكريم

بإحصاء مرّات ورود نداء الله تعالى بـ(يا أيها الناس) في القرآن الكريم تسعة عشر (١٩) مرّة. (وهي: (البقرة/ ٢١ و ١٦٨. النساء/ ١ و ١٧٠ و ١٧٤. الأعراف/ ١٥٨. يونس/ ٢٣ و ٥٧ و ١٠٤ و ١٠٨. الحجّ/ ١ و ٥ و ٤٩ و ٧٣. لقمان/ ٣٣. فاطر/ ٣ و ٥ و ١٥. الحجرات/ ١٣)، ولا يدخلها قوله تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ} [النمل: ١٦]؛ إذ هو مقول قول سليمان (عليه السلام)، وليس نداءً من الله تعالى. أمّا الآيات الأخرى فهي إمّا نداءً من الله تعالى مباشرة، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اغْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٢١]، أو أمرٌ لنبيه (صلى الله عليه وسلم) أن ينادي هكذا في الدّعوة، كقوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الحج: ٤٩]. وفيما يلي يتسلّط التركيز بدراسة تفصيليّة تحليليّة لاستخراج المخاطبين بهذا النّداء القرآني، وسيتمّ التوصل إلى معرفة الفئة المقصودة بالخطاب القرآني، وكيف عبّر القرآن عنها بالنّاس، بدلاً من ذكر اسمها، والتعرّف على مدى شمولية هذا الخطاب المستفاد من النّداء المذكور لفئات المجتمع كلّها، وكون الخطاب باباً واسعاً يحتضن الجميع.

المبحث الأول: محاورّة الإنسان في نداء الله تعالى بـ(يا أيها الناس) في القرآن الكريم

يتكوّن هذا المبحث من ثلاثة مطالب، ففي المطلب الأوّل يأتي الحديث عن المخاطب بـ(النّاس) في النّداء القرآني، وكيف أنّ القرآن ناداه بالنّاس، ووسّع خطابه للجميع. وفي المطلب الثّاني يأتي الحديث عن دلالة لفظة النّاس في نداء الله بـ(يا أيها النّاس) على العموم أو الخصوص. ثمّ يتبيّن في المطلب الثّالث تضمّن تلك الآيات أبرز الرّسائل المشتركة بين الإنسانيّة.

المطلب الأول: المقصود بالخطاب الحواري في نداء الله بر(يا أيها الناس) في القرآن الكريم

ورد النَّاسُ في النداء القرآني وخطب به المؤمنون والمشركون والمنافقون، كما خطبت به الشعوب والأقوام المختلفة، وهذا يعني أَنَّ الله (سبحانه وتعالى) فضَّلَ هنا ندائهم بر(أَيُّهَا النَّاسُ) بدل (أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ) أو (أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ) أو (أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)، وكذلك بدل (يا قوم كذا وكذا)، وبهذا يركِّز النداء القرآني على النِّقْطَة الرَّئِيسَة المشتركة وهي الإنسانيَّة؛ لتوفير أكبر مساحةٍ مشتركةٍ، وبالتالي أَنَّ القرآن يخاطب جميع العقائد والشعوب من النَّاسِ، ويؤكد شمولية الخطاب الإسلامي للإنسانيَّة جمعاء، مهما اختلفت عقائدهم وأفكارهم ومذاهبهم، ومهما تنوّعت قومياتهم وشعوبهم، وهذا فتحٌ لباب الحوار مع المختلفين ما ينعكس قبول الآخر، وإعطاء فرص التَّعايش والتَّفاهم، ثمَّ العمل. ومحاولةً من القرآن الكريم لإيجاد المساحات المشتركة بين النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وغير المسلمين نجد أَنَّهُ تَجَنَّبَ النداء بصفة الكفر؛ كي لا يَنأُوا بعيدًا عن الاستماع إلى خطاب القرآن، ومن ثَمَّ غلق باب الهداية. ويستثنى من ذلك آيتان في القرآن الكريم، فَوَرَدَ النداء فيهما بصفة الكفر، وكلتا هما حديثٌ عن التَّوْحِيدِ في حالة لا مجال للحوار فيه، أولاهما تتعلَّق بيوم القيامة، وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التَّحْرِيم: ٧]، فالمشهد القرآني يصوِّر ما يقال للكافرين الجاحدين حين دخولهم النَّار، وما بقيت فرصة للاعتذار عن جحودهم وإنكار التَّوْحِيدِ، فإذا توضَّح الآية ما يطلق عليهم يوم القيامة، ولا يعني دعوتهم هكذا في الدُّنْيَا. (الطَّبْرِي، (٢٠٠٠م)، ٢٣/ ٤٩٢. و: النَّسْفِي، (١٩٩٨م)، ٥٠٦/٣). وثانيهما في مستهلِّ سورة (الكافرون)، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون: ١، ٢]. نزلت السُّورَة جوابًا لعرض قَدَمِه المشركون في مَكَّة، طلبوا فيه من النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يَعْبُدُوا الله سَنَةً، على أَنْ يَتَخَلَّى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن التَّوْحِيدِ، ويعبد آلهتهم سَنَةً، وكان الجواب حاسمًا بما لا يعطي مجالاً للحوار والتَّفاوض في شأن التَّوْحِيدِ. (الطَّبْرِي، (٢٠٠٠م)، تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٦١).

وفيما يأتي نذكر جميع النداءات موزَّعةً حسب عناوين نزلت الآيات خطاباً لها، ولا يعني هذا انحصار الخطاب فيهم، كما سنوضحه في المطلب الآتي، بل المقصود أن النداء وإن نزل أول الأمر خطاباً لأناسٍ معيّنين لكنّه ورد بصيغة أعمّ؛ ليشمل غيرهم. ونوزّع العناوين إلى ثلاث موضوعات رئيسة، وهي:

أولاً: عموم الناس

يتوجّه الخطاب في بعض الآيات التي ورد نداء الله فيها بـ(الناس) إلى عموم الناس، سواء كانوا من مختلف العقائد، أو مختلف القوميات، فالعمومية مقصودة ابتداءً، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٢١]، فالناس عامٌّ للناس جميعاً، دون استثناء عقيدة أو قومية معيّنتين، والسياق صريحٌ في ذلك؛ إذ يأبى لفظ (الناس) أن يضيق في عقيدة واحدة، بل يراد به (المؤمنون والكافرون والمنافقون)، والناس مهما اختلفوا لا يتجاوزون عن واحدة من الفرق الثلاث، وإنا قلنا تُقصد به هذه الفرق؛ لأن الآية أتت بعد بيان تحزّب الناس في شأن القرآن الكريم إلى فرقٍ ثلاث: فرقة آمنّت به، وحافظت على شرائعه وأحكامه، وذلك في قوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة: ٣]، وفرقة كفرت به، ونبذته وراء ظهرها، عن طريق المجاهرة والخلافات الهدامة، وذلك في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة: ٦]، وأخرى بقيت بينهما مذنبّة تخادع وتناق، وذلك في قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ٨، ٩].

وروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن المراد فريقا المنافقين والكافرين، ويعضده ما جاء بعده من ريبهم في القرآن، وذلك في قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: ٢٣]، والمؤمنون لا يرتابون فيه، لكن القول بالعمومية أقوى؛ أولاً: لأنّ (الناس) جمع، ومعرفٌ بلام الاستغراق. وثانياً: جاءت الآية بعد ذكر الفرق الثلاث، كما سبق بيانه. وثالثاً: العبادة يؤمر بها المؤمن وغير المؤمن. وعلى كلٍّ فالمقصود أهل العقائد المختلفة. (الطبري، (٢٠٠٠م)،

٣٦٢/١. وابن أبي حاتم، (١٤١٩هـ)، ٦٠/١. والزّمخشري، (١٤٠٧هـ)، ٨٨/١. والقاسمي، (١٤١٨هـ)، ٢٦٥/١.

ومن الآيات التي ورد النداء فيها عامّاً دون التّخصيص قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]. يراد بـ(النّاس) جميع النّاس؛ إذ الخطاب يشمل جميع الإنسانيّة سواء كانوا من قومياتٍ مختلفةٍ من عربٍ وعجم، أو من عقائدٍ متنوّعةٍ من مؤمنين وكافرين ومنافقين، ولم يتوجّه الخطاب إلى فئةٍ معيّنةٍ كالمشركين مثلاً؛ لأنّ الآية تنكّر بالأصل المشترك، والمبدء الأوّل، وهو النّفس الواحدة التي خلق الله النّاس، ومن ثمّ التّوجّه إلى معرفة الله الخالق، ومن ثمّ الالتزام بالتّقوى. (الزّمخشري، ١٤٠٧هـ)، ٤٦٢/١. و: الرّازي، (١٤٢٠هـ)، ٩/٤٧٥. و: ابن عاشور، (١٩٨٤م)، ٤/٢١٤. و: أبو زهرة، ٣/١٥٧٤. وأمّا تخصيص الخطاب بأهل مَكّة فضعیفٌ، بدليل كون النّاس جمعاً دخل عليه الألف واللام للاستغراق، وتعليل الأمر بكونه تعالى خالقاً لهم من نفسٍ واحدة، وهذه العلّة عامّة أيضاً، كما أنّ التّكليف بالتّقوى عامٌ. (الرّازي، ١٤٢٠هـ)، ٩/٤٧٥، وكون السّورة مدنيّة كما رجّحه السيوطي دليلٌ آخر على ضعف التّخصيص بأهل مَكّة. (السيوطي، ١٩٧٤م)، ١/٤١. كما أنّ السّياق غير مساعدٍ للتّخصيص؛ إذ الآيات التي تلت الآية حديثٌ عن الأحكام والتّشريعات في إشارةٍ إلى مدنيّة السّورة.

ومنها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ١٧٠]. وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا} [النساء: ١٧٤]. والنّاس فيهما عامٌ، ودليلٌ على كونه (صلّى الله عليه وسلّم) مرسلًا إلى النّاس كافّة؛ وذلك لأنّ المُخاطَب بـ(النّاس) في الآيتين مشركوا العرب والمنافقون واليهود والنّصارى (الطّبري، ٢٠٠٠م)، ٩/٤١٢. و: الأندلسي، (١٤٢٢هـ)، ٢/١٣٨؛ لأنّهما جاءتا بعد إيراد الحجّة على جميع الفرق السّابقة، والجواب عن جميع شبهاتهم، (فذكر سبحانه بعضاً من صفات المنافقين وأحوالهم في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى

الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ١٤٢]. كما تحدّث عن المشركين والمنافقين في قوله تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} [النساء: ١٤٠]. وفصل القول في أهل الكتاب من اليهود والنصارى بقوله تعالى: {وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ...} [النساء: ١٥٧]. وبقوله تعالى: {فَيُظْلَمُونَ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا} [النساء: ١٦٠]، ومن هنا (وفي نداء القرآن للناس) عمّم خطابه للجميع، ودعا جميع الناس إلى الإسلام، عن طريق الاعتراف برسالة النبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) (الرازى، (١٤٢٠هـ)، ١١ / ٢٧٤).

وكذلك الناس في قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: ١٥٨] عامًّا لجميع البشر من عرب وغيرهم، بيض أو سود، وجميع الأديان، ولم يكن خطابًا موجّهًا إلى قومية معينة فقط، أو معتنقي عقيدة محدّدة، بدليل تأكيد الناس بـ(جَمِيعًا) (أبو زهرة، ٦ / ٢٩٧٥. و: الزحيلي، (١٤١٨هـ)، ٩ / ١٢٨).

وفسر البعض (الناس) هنا بأهل مكّة، كما جاء في تفسير (بحر العلوم) ضمن ذكر الآراء المتعدّدة حول الآية (السمرقندي، (١٩٩٣م)، ١ / ٥٥٧)، ولا يسانده السياق، ولو كان كذلك لكان الأولى أن يفسّر بأهل الكتاب؛ لأنّ الآيات السابقة، كقوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ} [الأعراف: ١٥٧]، واللاحقة، كقوله تعالى: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [الأعراف: ١٥٩]، كلّها حديثٌ عن بني إسرائيل، ومن ثمّ لو فسر (جميعًا) بأهل الكتاب كلّهم ولا سيّما أولئك {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ} [الأعراف: ١٥٧] لكان أنسب بالمكان.

ومن الآيات التي ورد (الناس) فيها عامًّا لمختلف العقائد والأعراق قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج: ١]. يخاطب الله الناس كلُّهم من المؤمنين وأهل الكتاب والمُشركين، ويأمرهم بالتقوى، والانتعاض بمشاهد يوم القيامة، فيأمرهم بامتنال أمره، واجتناب نهيه، حتى يفوزوا برضاه يوم القيامة. (الواحي، (١٤١٥هـ)، ٧٢٧. و: ابن عاشور، (١٩٨٤م)، ١٧ / ١٨٥. و: الشعراوي، (١٩٩٧م)، ١٦ / ٩٦٨٥).

وليس في الآية ما يخصّ خطابها بالمشركين أو المؤمنين فقط، بل هو أمرٌ بالتقوى بصورة عامّة، بالتجنّب عن كلّ ما يؤثّم من فعلٍ وترك. (الآلوسي، (١٤١٥هـ)، ٩ / ١٠٦). وتعقيب الأمر بالتقوى بـ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} بمثابة تعليلٍ للتقوى بما يدلّ على كمال معرفة المعاد، كما علّل الأمر بالتقوى في بداية سورة النساء بما يدلّ على معرفة المبدأ، وهو خلقه الناس من نفسٍ واحدة، وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء: ١]، والمبدأ والمعاد عامّان للناس جميعاً، ولا يختصّ بهما أهل عقيدة أو قومية دون أخرى. (الزّازي، (١٤٢٠هـ)، ٩ / ٤٧٦).

ثانياً: المؤمنون

قد يكون نداء الله تعالى بـ(يا أيّها الناس) في بعض الآيات القرآنية نزل في المؤمنين، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣] فهو في الأصل خطابٌ موجّه للمؤمنين، ويؤازره سبب نزول الآية؛ إذ قيل فيه ثلاثة أسباب: قيل: إنّها نزلت الصحابي ثابت بن قيس، حينما طعن في الرجل الذي لم يفسح له، بقوله: أنت ابن فلانة. وقيل: إنّ عبداً أسود مرض، فعاده رسول الله (صلّى الله عليه وسلم)، ثم قبض، فتولّى غسله وتكفينه ودفنه، فأثر ذلك عند الصحابة، فنزلت هذه الآية. (ابن الجوزي، (٥٩٧هـ)، ٤ / ١٥٣). وقيل نزلت في قريش (منهم الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وأبو سفيان) الذين أسلموا في فتح مكّة، وكان أثر الجاهليّة لم يذهب تماماً من ذاكرتهم، ولم يتحمّلوا أنّ يكون بلال الحبشي مؤدّن الرسول (صلّى الله عليه وسلم)، وأن يكون أول من يصعد الكعبة بعد الفتح، ويؤدّن فوقها، لا لشيء سوى كونه حبشياً، وعبداً في الأصل،

غوفاً تويّزمر / بمرگى ٣ / ژماره ٢ / بهارى ٢٠٢٠
٥٧٣

كما أنَّ التَّفاخر بالأنساب لم ينته بسهولة، وخصوصًا بعد دخول غير العرب في الإسلام، وكان العرب يكرهون تزويج بناتهم مواليتهم. (الخان، (١٤١٥هـ)، ٤/ ١٨٣. : ابن الجوزي، (٥٩٧هـ)، ٤/ ١٥٣. و: الهري، (٢٠٠١م)، ٢٧/ ٣٧٩).

وسياق الآية يدور في خطاب المؤمنين أيضًا؛ إذ الآيات التي تالت قبل هذه الآية كلها نداءً للمؤمنين، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات: ١]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} [الحجرات: ٦]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ} [الحجرات: ١١]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ} [الحجرات: ١٢].

ومع أنَّ النداء في بدايته نزل خطابًا للمؤمنين، لكنَّه عامٌّ يراد به مخاطبة جميع الأقسام والشعوب، ويحاوهم جميعًا؛ بدليل أنَّ الآية تفصل في ذلك من كونهم شعوبًا وقبائل متعدِّدة، ويخبرهم أنَّه لا فرق بينهم بهذه الفوارق، وأنَّهم متساوون في النَّسب؛ لأنَّهم يعودون إلى أصلٍ واحدٍ من ذكْرٍ وأنثى، وَرَجَرَهُمْ عَلَى التَّفاخر بالأنساب، والتَّكاثُر بالأموال، والازدراء بالفقراء. (القرطبي، (٩٦٤م)، ١٦/ ٣٤٠. و: القنوجي، (١٩٩٢م)، ١٣/ ١٥١. و: ابن عاشور، (١٩٨٤م)، ٢٦/ ٢٥٨. و: الزحيلي، (١٤١٨هـ)، ٢٦/ ٢٥٠).

ثالثًا: المشركون

توجد في كتاب الله الكريم آياتٌ ورد النداء فيها بـ(النَّاس) خطابًا للمشركين في بداية النُّزول، لكنَّه سبحانه وتعالى عبَّر عنهم بـ(النَّاس) إيذانًا بأنَّ الخطاب عامٌّ لجميع البشريَّة، منها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا} [البقرة: ١٦٨]، فنزلت الآية في مشركين من ثقيف وخزاعة وبني مدلج فيما حرَّموه على أنفسهم من الأنعام والزَّرع (الماوردي، ١/ ٢٢٠. و: ابن الجوزي، (١٤٢٢هـ)، ١/ ١٣١)، بدليل الآيات السَّابقة عليها؛ إذ هي حديثٌ عن المشركين، فوصف كفرهم في اتِّخاذ الشُّرك لله، وحبُّهم الشَّدِيد للأنداد من الأصنام وسادتهم الَّذِينَ يطيعونهم في الكفر والشُّرك ومخالفة أمر الله تعالى، بقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}

[البقرة: ١٦٥]، ثم وصف حالهم يوم القيامة حينما يتبرء بعضهم من بعض، بقوله تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} [البقرة: ١٦٦]، ثم وصف حسرتهم، بقوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرَّرْنَا فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالُهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: ١٦٧]. وبعدها قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا} [البقرة: ١٦٨]، وهكذا يستمر الحديث عن المشركين. (الطبري، (٢٠٠٠م)، ٣/٢٨٠. و: ابن عاشور، (١٩٨٤م)، ٢/١٠١).

ومن الآيات التي ورد فيها نداء الله تعالى بـ(الناس) للمشركين قوله تعالى: {فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعْغُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [يونس: ٢٣]؛ إذ هو جزء من الآيات التي تحكي الحوار الدائر بين النبي (صلى الله عليه وسلم) ومشركي مكة، فطلبوا منه (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي بعلم ودليل غير القرآن، يعلمون به أنه محق فيما يقول، وكان جوابه (صلى الله عليه وسلم) أنه لا يعلم الغيب (الطبري، (٢٠٠٠م)، ٤٨/١٥)، كما قال تعالى: {وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ} [يونس: ٢٠]، ثم أصابهم القحط في مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون، فرحمهم سبحانه وتعالى، وأنزل عليهم الأمطار، تضرعوا إليه تعالى، ولما رحمهم، ورفع عنهم البلاء، فعادوا إلى كفرهم، ونسبوا ذلك الفرح إلى الأصنام والأنواء، فثبت أن هؤلاء المشركين ليسوا صادقين في طلبهم، وإنما شأنهم الخداع والمكر والعناد، وغرضهم حفظ منافعهم ومناصبهم لا غير، ولذا كلما تنعموا مكروا، وكلما أصيبوا قنطوا (الزمخشري، (١٤٠٧هـ)، ٢/٣٣٧. و: الرزاي، (١٤٢٠هـ)، ١٧/٢٣١)، كما قال تعالى: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ} [يونس: ٢١]، ثم يذكر سبحانه وتعالى مثالا لكلتا الحالتين: حالة الرخاء، وحالة الشدة، فالأولى كمن يركب السفينة، ويجد الريح الطيبة، يفرح، ويسر؛ لأن الريح تجري كما تشتهي سفينته. والثانية كمن يركب السفينة، وتأتيه الرياح الشديدة، والعاصفة القوية، والأمواج العظيمة، ويشعر بقرب الهلاك. وانتقال الإنسان من الحالة الأولى إلى الثانية يوجب الخوف والرعب، فيدعو الله تعالى النجاة، ويعد بالتوبة والشكر له

تعالى، لكن ما أن ينجو فيعود إلى ظلمه وبغيه بغير الحق (الرازي، (١٤٢٠هـ)، (٢٣٢/١٧)، كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [يونس: ٢٢، ٢٣] ومن هنا يغير سبحانه وتعالى أسلوبه على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ويخاطبهم بأن عاقبة ظلمهم تعود إليهم، وأنهم وحدهم من يتحملونها في الدنيا والآخرة (الطنطاوي، (١٩٨٨م)، (٥١/٧)، ويقول: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} [يونس: ٢٣]، فتبين أن (الناس) خطابٌ للمشركين، ولا سيما أولئك الذين أنجاهم الله بغوا، فاستصغى أسماعهم، ثم حذرهم، وهددهم (ابن عاشور، (١٩٨٤م)، (١٣٩/١١). والتعبير بـ(الناس) لتعميم الخطاب إلى كل بغاة وظالمين في كل زمان وكل مكان.

وكذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٥٧]، ورد (الناس) فيه نداءً للمشركين؛ لأن الآية جاءت عقب حديث طويل عن المشركين، من قوله تعالى: {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخُلُقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} [يونس: ٣٤]، وقوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ} [يونس: ٣٨]، وقوله تعالى: {وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ} [يونس: ٤١]، ثم قسم الكفار إلى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ} [يونس: ٤٢]، و{مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ} [يونس: ٤٣]، ثم يحكي قول سؤال المشركين عن مجيئ يوم القيامة، قال تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس: ٤٨]، كما عبر القرآن عن شركهم بالظلم في قوله تعالى: {ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا دُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} [يونس: ٥٢]. وكذلك الآيات اللاحقة للآية تتحدث عن الحوار بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وبين المشركين، وقال: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} [يونس: ٥٩]. وبعد هذه الآية يواسي سبحانه وتعالى نبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم) فيما يصدر من أفواه المشركين، من أقوالٍ تسبب الحزن، بقوله تعالى: {وَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

[يونس: ٦٥] والآية مع كونها خاطبت المشركين أولاً إلا أن الله سبحانه وتعالى عبّر عنها بالتعميم، فبين كون القرآن موعظةً من الله لاتباع الخير، واجتناب الشرّ والباطل، وشفاءً لجهل الجاهل، ودواءً من العقائد الفاسدة والشكوك، وهذه الأوصاف لا تنحسب في مشركين فقط، بل تتعلّق بالمؤمنين وأهل الكتاب والمشركين جميعاً، وهذا دليلٌ على أن الله سبحانه وتعالى أراد تنبيه الناس عمومًا على رسالة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) التي جاءت رحمةً للناس جميعاً. (الطبري، (٢٠٠٠م)، ١٥ / ١٠٥. و: الزحيلي، (١٤١٨هـ)، ١١ / ١٩٩).

ومن الآيات التي تخاطب المشركين بـ(يا أيّها الناس) قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ١٠٤]، والآية نفسها دليلٌ على ذلك؛ لأنّ قوله تعالى: {فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} واضحٌ في مخاطبة المشركين الذين يعبدون من دون الله (الطبري، (٢٠٠٠م)، ١٥ / ٢١٧. والزّمخشري، (١٤٠٧هـ)، ٢ / ٣٧٣. ابن الجوزي، (١٤٢٢هـ)، ٢ / ٣٥٣). وكذلك قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} [يونس: ١٠٨]؛ لمجيئه ختامًا للآية السابقة في مخاطبة أهل الشّرك، أعني قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي...} [يونس: ١٠٤]. (الطبري، (٢٠٠٠م)، ١٥ / ٢٧٧). لكنّ الله عبّر بالناس جلبًا لانتباههم، ومحاولةً للوقوف في المساحات المشتركة، كما أنّه لم يقصد المشركين وحدهم، بل المراد جميع الناس، لذا أورد الخطاب بصيغة أعمّ، ومن هنا قال ابن عطية في تفسيره: "هذه مخاطبة لجميع الكفار مستمرةً مدى الدهر" (الأندلسي، (١٤٢٢هـ)، ٣ / ١٤٧).

وكذلك نزل في نداء المشركين قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ...} [الحج: ٥]؛ لأنها تتناقص قضايا عقديّة محلّ خلاف بين أهل الإيمان وأهل الشّرك. وبيان ذلك أنّ الله تعالى خاطب الجميع بـ(الناس) في صدر سورة الحج، فقال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج: ١]، ثمّ فصلّ في الموضوع، بقوله سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ} [الحج: ٣]، وبين أنّ بعضهم

(وهو النَّصْر بن الحارث ومعه أَبِي بن خلفٍ)، يجادلون في الله بغير علمٍ، بزعم أن الله غير قادر على إحياء الموتى بعدما صاروا ترابًا، وبعد ذلك مباشرةً ينادي هؤلاء المجادلين بغير علمٍ، بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ...} [الحج: ٥]. ويناقش حججهم. والتعبير بـ(النَّاس) ليشمل الخطاب كلَّ من يتَّصف بهذه الصِّفة من المجادلة بغير علمٍ، سواء كان من المشركين أو غيرهم. (الطَّبْرِي، (٢٠٠٠م)، ٥٦٦/١٨، و: الأندلسي، (١٤٢٢هـ)، ١٠٧/٤).

ومن الآيات التي ورد النداء فيها بـ(النَّاس) قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [الحج: ٤٩]، فأمر الله سبحانه وتعالى النَّبِيَّ (صَلَّى الله عليه وسلَّم) أن يخاطبَ المشركين عن طريق ندائهم بـ(أيُّها النَّاس)، وسياق الآية أوضح دليل على ذلك، مثلاً يأتي الحديث عن المسلمين الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، قال تعالى: {أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: ٣٩]، ثُمَّ تَأْتِي تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عليه وسلَّم) بِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ أَصِيبُوا بِنَفْسٍ مَّا وَاجِهَهُ هُوَ، فقال تعالى: {وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ} [الحج: ٤٢]، وكذلك يأتي وعدُ الله بنصرة النَّبِيِّ (صَلَّى الله عليه وسلَّم) والمؤمنين، والتَّمثِيلُ بِأَمِّ أُخْرَى، ثُمَّ اسْتَعْجَالَ الْمَشْرُكِينَ بِالْعَذَابِ، إِلَى أَنْ تَأْتِيَ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ نَدَاءً لِلنَّاسِ: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [الحج: ٤٩]، أي: قل لهؤلاء المشركين المستعجلين للعذاب: أنا أنذركم إنذارًا بَيِّنًا بما أَوْحِيَ إِلَيَّ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْمَهْلَكَةِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لِي دَخْلٌ فِي إِتْيَانِ مَا تَوَعَّدُونَهُ مِنَ الْعَذَابِ، حَتَّى تَسْتَعْجِلُونِي بِهِ (الرَّازِي، (١٤٢٠هـ)، ٢٣٢/٢٣، و: الهرري، (٢٠٠١م)، ٣٧٠/١٨).

وكذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمْعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج: ٧٣] يدور في خطاب المشركين؛ لِأَنَّهُمُ الْمُقْصُودُ بِالرَّدِّ وَالزَّجْرِ، وَالْآيَةُ نَفْسُهَا دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ؛ إِذْ هِيَ تَخَاطَبُ الْمَشْرُكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ (ابن الجوزي، (١٤٢٢هـ)، ٣/ ٢٤٩. ابن عاشور، (١٩٨٤م)، ٣٣٧/١٧). كما أَنَّ السِّيَاقَ مَعَ هَذَا الرَّأْيِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ

سبحانه يذكر كيف أنهم يعبدون من دون الله، كما قال: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [الحج: ٢١] ، وأنهم إذا تتلى عليهم آيات الله يعرف منهم الغضب والعبوس، ثم تأتي الآية {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ} لتثيير أذهانهم، وتغذي عقولهم بالتفكير في الأمثال المضروبة في القرآن الكريم.

ويجوز أن يكون (الناس) عامًّا ابتداءً، وذلك بردّ العجز إلى الصدر؛ إذا الآية الأولى من سورة الحجّ موجّهة إلى الناس كلّهم، وهذه الآية التي جاءت في الأخير تردّ إلى بداية الصّورة. (ابن عاشور، (١٩٨٤م)، ٣٣٧/١٧). أو أنّه عامّ بتقدير محذوف، تقديره: "يا أيّها النّاس جعل المشركون لى أشباهاً وأنداداً، وهى الآلهة التي يعبدونها معى، فأنصتوا وتفهموا". (المراغي، (١٩٤٦م)، ٣٣٧/١٧).

و(الناس) في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ} [لقمان: ٣٣]. يُخاطب به مشركوا قريش؛ لأنّ النّاس هنا يقصد بهم من سبقوا في الآية التي قبلها، وهم المشركون الذين ينسبون الله تعالى في السّراء، قال تعالى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} [لقمان: ٣٢]، وبعد ذلك يأمرهم الله تعالى بالتقوى، وعمّم سبحانه وتعالى أمره ليشمل جميع البشر من كفّارٍ ومؤمنين، ولا سيّما جاء الأمر مطلقاً، كما كان في بداية سورة النساء والحجّ، ويعني هذا أنّ الآية وإن نزلت في قريش، لكنّ العموميّة ظاهرة فيها. (الطّبري، (٢٠٠٠م)، ٢٠ / ١٥٦-١٥٨. و: الهرري، (٢٠٠١م)، ٢٢ / ٢٩٨-٣٠٠. و: الزحيلي، (١٤١٨هـ)، ٢١ / ١٧٧).

وتتطبق الحال على النّداء بـ(الناس) في سورة فاطر، وهو متوجّه إلى مشركي مكّة، وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِي تُؤْفِكُونَ} [فاطر: ٣]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ} [فاطر: ٥]. ففي الآية الأولى يذكرهم الله (سبحانه وتعالى) نِعْمَةً التي أنعمها عليهم، وفي الآية الثّانية يخبرهم بأنّ وعد الله بالبعث والنشور

والحشر والحساب والجزاء حقٌّ، فاستعدّوا له، وكونوا يقظين حتّى لا يذهلكم الشيطان. والآيتان في الأصل نداءٌ لمشركي مكّة؛ بدليل توسّط آيةٍ بينهما تخصّ قضيةَ المشركين، وهي قوله تعالى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [فاطر: ٤]، أي لا تحزن أيّها النّبّي (صلّى الله عليه وسلّم) من تكذيب المشركين، ولا يعظم أمرهم عليك؛ فإنّ ذلك سنّة الأنبياء قبلك مع أقوامهم. (الطبري، (٢٠٠٠م)، ٢٠/٤٣٧. و: ابن الجوزي، (١٤٢٢هـ)، ٣/٥٠٦. و: القرطبي، (١٩٦٤م)، ١٤/٣٢٢. و: المراغي، (١٩٤٦م)، ٢٢/١٠٨).

أمّا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: ١٥] فجاء بعد الحديث عن المشركين، وذلك في قوله تعالى: {إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: ١٤]. لكنّ النداء جاء عامّاً بـ(النّاس) يحوي جميعهم، ومخبراً عن حالهم ووصفهم (السّعدي، (٢٠٠٠م)، ٦٨٧). ويؤيّد أيضاً ما جاء في سبب النزول: أنّ الكفّار لمّا رأوا إصرار النّبّي (صلّى الله عليه وسلّم) على الدّعوة، ظلّوا أنّ الله فقيرٌ، يحتاج إلى العبادة، فبيّنت الآية الكريمة أنّ الله لا يحتاج إليهم، ولا يأمرهم بالعبادة فقراً واحتياجاً منه، وإنّما هو لإشفاقه عليهم. ومهما يكن من أمرٍ فإنّ إيراد النداء بصيغة (النّاس) لتعميمه وشموله النّاس جميعاً. (الرّازي، (١٤٢٠هـ)، ٢٦/٢٢٩. و: الألوسي، (١٤١٥هـ)، ١١/٣٥٦).

وعصارة الأمر أنّ القرآن الكريم وإنّ نزلت آياته لنداء أناسٍ بعينهم أوّل الأمر، لكنّه عبّر بلفظٍ عامٍّ؛ كي لا ينحصر الخطاب في أناسٍ معيّنين، كما أنّه أراد العموميّة في بعضها ابتداءً، وبهذا ركّز على المساحات المشتركة بين النّاس، وحاورهم في أوسع الأبواب، أعني الإنسانيّة، وأكّد شموليّة خطابه لجميع البشر في مختلف العقائد، من مؤمنين وكافرين ومنافقين، وجميع الأقوام والشّعوب على المعمورة، لتدخل الأديان والفرق والمعتقدات السّماويّة والوضعيّة وجميع القوميات ضمن سياق الخطاب القرآني، ويفتح عليهم باب الحوار وتبادل الأدلّة، ولم يستثن أحدًا من ميدان الحوار.

المطلب الثاني: دلالة لفظة النَّاس بين العموم والخصوص في نداء الله بـ(يا أيها النَّاس)

نظرًا إلى الآيات التي ورد فيها نداء الله بـ(النَّاس) يُلاحَظ أنَّ منها ما هي موجَّهة إلى المؤمنين، ومنها إلى عموم النَّاس، ومنها إلى المشركين، وقد تقدَّمت أمثلتها في المطلب السابق.

وعني المفسِّرون كثيرًا بعموميَّة الخطاب وخصوصيته، بمعنى حينما يتبيَّن المخاطب من خلال أسباب النَّزول أو السِّياق أو المقارنة بين الآيات، فهل يدخل غيره في الخطاب أو لا؟ بعبارة أخرى: هل دلالة لفظ (النَّاس) في الآيات التي نادى به طائفة معيَّنة من مؤمنين أو مشركين أو منافقين عامٌّ فيهم وفي غيرهم، أو ينحصر فيمن نزلت الآيات في حقِّهم؟ وهنا اختلف المفسِّرون، فالجمهور على أنَّ الخطاب يحمل على عومه، ويتناول جميع ما يصلح له، ويشمل من نزل فيهم النَّداء وغيرهم بالمشابهة ما لم يكن هناك دليلٌ يخصِّص، أو قرينة تمنع التَّعميم. أمَّا مخالفوهم فقد ذهبوا إلى أنَّ العبرة بخصوص السَّبب، فيكون لفظ الآية مقصورًا على من نزلت فيهم، ويمكن تناول غيرهم بدليلٍ آخر، كالقياس مثلاً المستوفي فيه الشُّروط المعتبرة (الزُّرقاني، (بدون تاريخ)، ١/ ١٢٦. و: القطَّان، (٢٠٠٠م)، ٨٣).

والذي أراه أنَّ رأي الجمهور هو الرَّاجح كما صرَّح بذلك السيوطي (السيوطي، (١٩٧٤م)، ١/ ١١٠)، وهو الَّذي سار عليه العلماء قديمًا وحديثًا؛ لأنَّه يتفق مع عمومية الشريعة ورسالة الإسلام (الزركشي، (١٩٥٧م)، ١/ ٣٢. و: الزُّرقاني، م. (بدون تاريخ)، ١/ ١٢٦. و: إسماعيل، (١٩٩٩م)، (١٧١).

وينبغي التَّنبيه هنا إلى أنَّ القائلين بخصوص السَّبب لا يقصدون بذلك حصر الآيات في السَّبب، ودون التَّجاوز إلى غيره؛ إذ هو تعطيلٌ للآيات، ومخالفٌ لصلاحية الإسلام لكلِّ زمانٍ ومكانٍ ولكلِّ البشريَّة، وإنَّما مرادهم اختصاص الآيات بالسَّبب من جهة النَّزول، ويدخل مع السَّبب غيره عن طريق القياس، لا عن طريق تعميم اللَّفظ (الطَّيار، (٢٠٠٨م)، (١٣٧).

ولم يرد عن أحدٍ من المفسرين تخصيص نداءات (النَّاس) في القرآن بأناسٍ معيّنين إلا إذا كان هناك دليلٌ يخصّصه، وإنّما عبّروا من خلال تلك الآيات عن مدى شمولية الإسلام، وعمومية خطابه لكلّ زمانٍ ومكانٍ ولكلّ البشريّة؛ إذ لا يستغني أحدٌ عنه، والكلّ مكلفون بالاستجابة له سواء كان تكليفاً بالفعل لمن وصل حدّ البلوغ، أو بالقوّة لمن لم يبلغ الحلم (الشعراوي، (١٩٩٧م)، ١/١٨٣).

ونأخذ مثلاً من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ} [البقرة: ٢١]، فقد عبّر أكثر المفسرين على عموميّة النَّاس فيها، نذكر منهم على سبيل المثال: (الطبري، (٢٠٠٠م)، ١/٣٦٢. و: الماتريدي، (٢٠٠٥م)، ١/٣٩٨. و: الخازن، (١٤١٥هـ)، (١٤١٥هـ)، ١/٣٠. و: الثعلبي، (٢٠٠٢م)، ١/١٦٦. و: السمعاني، (١٩٩٧م)، ١/٥٦. و: الزمخشري، (١٤٠٧هـ)، ١/٨٨. و: الرّازي، (١٤٢٠هـ)، ٢/٣٢٠. و: القاسمي، (١٤١٨هـ)، ١/٢٦٥. و: المراغي، (١٩٤٦م)، ١/٦٣. و: ابن عاشور، (١٩٨٤م)، ١/٣٢٦). ومثله قوله تعالى: **سَمَحَ يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا سَجَى** سجدة البقرة الآية **جمع تمحتج سحج**. فالآية نزلت في مشركي ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة، حرّموا على أنفسهم أشياء من الحرث والأنعام، وقيل: في عبد الله بن سلام وأضرابه، حيث حرّموا على أنفسهم لحم الإبل لما كان حراماً في دين اليهود، لكنّ الخطاب فيها جاء بـ(النَّاسِ)، والاعتبار بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، ولذا يشمل المؤمن والكافر، وأنّ إنعام الله يعمّ كلّ النَّاس (الألوسي، (١٤١٥هـ)، ١/٤٣٦. و: أبو زهرة، ١/٤٩٨. و: دروزة، (١٣٨٣هـ)، ٦/٢٧٩).

وليس الحديث في هذا البحث عن العموم والخصوص في النداء، وإنّما الوقوف عند إنسانيّة هذه النداءات، فنرى أنّ النداء في الجميع سواء أريد بها العموم أو الخصوص جاء بصفةٍ شاملةٍ لكلّ البشر، فالجميع مهما اختلفوا في ديانتهم وعقائدهم ومذاهبهم، ومهما تنوّعوا في قومياتهم وأعرافهم مشتركون في الإنسانيّة، وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب في كلتا مرحلتَي المكيّة والمدنيّة، فإنّ سور البقرة والنساء والحجرات مدنيّات وفاقاً، وجاء فيها النداء بـ(يَا أَيُّهَا النَّاسُ)، كما ورد ذلك في السور المكيّة أيضاً، وقد ذكرت مفصّلة (الفنّوجي، (١٩٩٢م)، ١/١٠٣. و: أبو زهرة، ١/١٥٤). وانطلاق الحوار من هذا الأساس

العلم، وإيجاد أرضية مشتركة، لهو أنجح أنواع الحوار، وأكثر الميادين توسعاً للتفاهم، وتبادل الآراء.

المطلب الثالث: رسائل إنسانية مشتركة في نداء الله بـ(الناس) في القرآن الكريم

بعد النظر الدقيق في الآيات التي ورد فيها نداء الله تعالى بـ(الناس) يجد الباحث أنها تقف عند قواسم مشتركة، وتعطي رسائل تشترك فيها البشرية، ويمكن تفصيلها فيما يأتي:

أولاً: الأخوة الإنسانية

أقرّ القرآن الكريم أنواعاً من الأخوة، منها أخوة النسب، كأخوة يوسف (عليه السلام) مع إخوته، كما في قوله تعالى: {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يوسف: ٥]، فيريد يعقوب (عليه السلام) بالإخوة هنا إخوانه في النسب من أبناء يعقوب (عليه السلام)، وليس غيرهم من المؤمنين. ومنها أخوة الإيمان، كقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠]. ومنها الأخوة في القوم، كقوله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [الأعراف: ٦٥]. فلم يكن هود (عليه السلام) أخا قومه المشركين في النسب، ولا في الدين، وكانوا إخوة في قوميتهم أو عشيرتهم، ومثله قوله تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [الأعراف: ٧٣].

والقرآن ذكر نوعاً آخر من أنواع العلاقة المبنية على أسس مشتركة، وهي العلاقة الإنسانية، وهي عبارة عن الوحدة الإنسانية بمعنى الأصل المشترك للجميع، ولا ضير إذا سميناها الأخوة الإنسانية. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

تبدء السورة بمخاطبة الناس قاطبةً، وتؤكد لهم مبدأ الوحدة الإنسانية، أو الأخوة الإنسانية بين أبناء جنس واحد؛ إذ البشرية التي صدرت من إرادة واحدة،

تتصل في رحمٍ واحدةٍ، وتلتقي في وشيجةٍ واحدةٍ، وتنبتق من أصلٍ واحدٍ، وتنسب إلى نسبٍ واحدٍ، فدعاهم الله جميعاً بهذا النداء الإنساني إلى التذكّر بأن أصلهم واحدٌ، وهذا عين الأخوة الإنسانية. ومن هنا جاء الإرشاد القرآني لبناء مجتمع المسلمين، وتربية أولادهم على هذه الروح، ومن ثمّة تتضاءل في حسّهم كلّ الفروق الطارئة، التي نشأت في حياتهم. واستقرار هذه الحقيقة كان كفيلاً باستبعاد الصراع العنصري، والاستبعاد الطبقي؛ إذ الدّرس الأوّل والأهمّ هنا تعليم النّاس، ولا سيّما المسلمين، وإشعارهم بأنّ الإسلام يحترم النّاس لإنسانيّتهم، ويكرمهم من هذه الحيثيّة، بعيداً عن الحيثيات الأخرى (الزّمخشري، (١٤٠٧هـ)، ١/ ٤٦٢. و: الرّازي، (١٤٢٠هـ)، ٩/ ٤٧٥. و: الألوسي، (١٤١٥هـ)، ٢/ ٣٩٠. و: قطب، (١٤١٢هـ)، ١/ ٥٧٤. و: أبو زهرة، ٣/ ١٥٧٤. و: ابن عاشور، (١٩٨٤م)، ٤/ ٢١٤).

ونجد شيخ المفسّرين الإمام الطّبري سمّى هذه العلاقة أخوةً، ويرى أنّ الله تعالى نبّه المسلمين "على أنّ جميعهم بنو رجلٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ، وأنّ بعضهم من بعضٍ، وأنّ حقّ بعضهم على بعضٍ واجبٌ وجوبٌ حقّ الأخ على أخيه، لاجتماعهم في النّسب إلى أبٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ، وأنّ الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حقّ بعضٍ، وإنّ بُعد التّلاقي في النّسب إلى الأب الجامع بينهم، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النّسب" (الطّبري، (٢٠٠٠م)، ٧/ ٥١٢). وذهب الماورديّ مذهب الطّبري بقوله: "أخبرهم أنّهم من نفسٍ واحدةٍ أن يتواصلوا، ويعلموا أنّهم إخوةٌ وإنّ بعدوا" (الماوردي، ١/ ٤٤٧).

وفي الآية نفسها يؤكّد الله سبحانه على الالتزام بالحقوق والواجبات، ويقول: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ}، فالأرحام معطوفٌ على الله، وتقديره: وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا، ومن هذا العطف أنّ من حقوق بعضهم على بعضٍ أن يتناصفوا، ولا يتظالموا، وليبذلّ القوي من نفسه للضعيف حقّه بالمعروف على ما ألزمه الله له (الطّبري، (٢٠٠٠م)، ٧/ ٥١٤. و: الزّجاج، (١٩٨٨م)، ٢/ ٦. و: النحاس، (١٤٢١هـ)، ١/ ١٩٧).

ثانيًا: التعارف

لم يكتف القرآن ببيان الأصل المشترك بين بني الإنسان، بل وقف أيضًا عند الاختلافات؛ كي لا يتخذها أحد وسيلةً للتشاعر، والقتل بغير الحق، أو للظلم بصورة عامة، سواء ظلمًا جسديًا أو ماليًا، جاء التقرير الإسلامي لهذا المبدأ النبيل انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. فالآية بعد مخاطبة الناس، تذكرهم بأصلهم الذي أتوا منه، وأنهم خلُقوا جميعًا من أصل واحد، فيكونون متساوين في النسب، وأنهم جميعًا إخوة وأخوات، والحكمة التي من أجلها رتب الله الإنسانية على شعوب وقبائل هي أن يعرف بعضهم نسب بعض، فلا ينتسب إلى غير آبائه، وليس لبعض الإخوة والأخوات افتخار وفضيلة على بعض بالآباء والقبائل التي جعل الله لهم، إنما الشعوب والقبائل للوئام والتعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، فيصلون الأرحام، ويبينون الأنساب والتوارث، لا للتناكر والإزدراء؛ لأن اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات تنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات البشرية. وليس للجنس واللون واللغة والوطن، وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله؛ لاتخاذها وسيلة للظلم والطغيان والتقاتل، وإنما الفضيلة والكرامة في ميزان الله تعالى بالنقوى والأعمال الصالحة (الماتريدي، ٢٠٠٥م)، ٣٣٧/٩. و: القاسمي، (١٤١٨هـ)، ٥٣٩/٨. و: المراغي، (١٩٤٦م)، ١٤٣/٢٦. و: قطب، (١٤١٢هـ)، ٣٣٤٨/٦.

ثالثًا: التوحيد والعبادة

التوحيد ضرورة في حياة الناس، وهو الخطوة الأولى من دعوة الأنبياء (عليهم السلام)، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وعليه تقوم الأعمال بزمته، فمن سلمت عقيدته في توحيد الله تعالى، وأخلص العمل له تعالى، سلمت أعماله، ومن فسدت عقيدته فيه، فترد عليه أعماله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ [العصر: ٢، ٣].

وقال تعالى: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين: ٥، ٦].

ومن هذا المنطلق نجد آياتٍ عديدةً ينادي فيها الله تعالى بـ(الناس)، وهي تدعو إلى التوحيد، وإفراد الله تعالى بالعبادة، وفي هذا فضلاً عن ضرورة العبودية لله تعالى، وإظهار التذلل والخشوع أمام الخالق، نجد أن التقوى أو العبادة مطلوبة في حياة الإنسان؛ كي يضع حداً بينه وبين هواه، فبمخافته تعالى لا يُقَدِّم الإنسان على ارتكاب السيئات والجرائم، حتى لو لم يره أحدٌ، أو كان في مكانٍ بعيدٍ عن أعين الناس؛ لأنَّ العبادة تجعله وثيق الصلة بربه، وبالتالي يتخذ من المراقبة عيناً بالمرصاد. ومثل هذا التصوُّر في معرفة التقوى، وتفهم حقيقة العلاقة بين العبد وربِّه ضروريٌّ لكلِّ إنسانٍ؛ كي يعيش حياةً يسلم الناس فيها من لسانه ويده، ولا سيما بعد الإيمان باليوم الآخر، يوم الحساب، يوم يرى الإنسان أعماله خيراًها وشرها، ويجني ثمارها، وإذا كان هذا الإيمان مفيداً للفرد من وجه؛ لاجتنابه من ارتكاب الذنوب والخطايا، فيحفظ المجتمع من السوء والتفكُّت من القانون من جهةٍ أخرى.

ومن الآيات الداعية إلى التوحيد قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج: ٧٣]، فالخطاب إلى التوحيد هنا بـ(الناس) ليفيد العموم لجميع البشرية، ولكن بما أنَّه يتضمَّن قضية عبادة الأوثان، يجعل الخطاب للمشرِّكين أمسَّ وأقرب (أبو زهرة، ٥٠٢٩/٩).

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: ١٥] يدور حول الموضوع نفسه من توحيد الله تعالى والخضوع له بالعبادة؛ إذ سبقت على هذه الآية أدلَّةٌ كثيرةٌ على قدرة الله تعالى وعظمته، وعجز الأصنام وما يعبد من دون الله تعالى، منها قوله تعالى: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا

يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: ١٣، ١٤]، ثم نبّه القرآن الكريم الجميع بهذه الآية الكريمة على عدم عوز الله تعالى إليهم؛ لأنّه هو الغنيّ، وإنّما هم الفقراء والمحتاجون إليه تعالى، فلا يزيده تعالى إيمانهم شيئاً له تعالى، وإنّما المستفيد من ذلك هم أنفسهم، فالتوحيد ينصبّ في صالح الإنسانية، فيخرجهم من عبوديّة المعبودات والشّهوات إلى حرّية الخضوع لله وحده دون غيره من المخلوقات؛ إذ المشرك أو غير الموحد محكومّ بعبادة غيره أصناماً أو أموالاً أو طواغيت أو غير ذلك.

والتّوحيد يقتضي العبادة، لذا جاء ربطه بها في كثير من تلك النداءات، كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٢١]. جعلت الآية العبادة سبباً للتّقوى؛ لأنّ من يعبد الله تعالى عساه أن ينجو من العذاب، ويكون على رجاء التقوى، ويصير في سترٍ ووقاية من عذاب الله (الخازن، (١٤١٥هـ)، ٣٠/١). والتّقوى في نظر القرآن "يشمل ما كان باجتناب الكفر والمعاصي وسائر القبائح، ويتناول رعاية حقوق النَّاس، كما يتناول رعاية حقوق الله تعالى" (الآلوسي، (١٤١٥هـ)، ٣٩١/٢). وتدرّج آيات أخرى في الفلك نفسه من العبادة والتّقوى، ولا سيّما في ربط التّقوى من الذّنوب والخطايا بالموت وحساب الآخرة؛ لأنّ من يؤمن بها يخاف عاقبة سيئاته، فالله تعالى يذكرهم الموت كي يبتعدوا عن عبادة غيره، في قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ١٠٤]. وبيوم البعث في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج: ١]. ويريهم الأدلّة على الإيمان بيوم القيامة في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ...} [الحج: ٥]. وفي سورة لقمان يصرّ الله تعالى مشاهد يوم القيامة في صورة فنيّة كأنك تشاهدها بأَم عينك، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ} [لقمان: ٣٣]. ويؤكد القرآن للنّاس مرّة أخرى أنّ وعد الله حقّ، ولا سيّما

البعث والحساب، كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ {فاطر: ٥}.

والآيات كلّها منصبة في الحديث عن التّوحيد، وعبادة الله تعالى، وتقواه، كما وتشجّع على ذلك من خلال تذكيرهم يوم القيامة ومجرياتة.

رابعاً: الطّعام الطّيب

تعطي الآيات القرآنية رسالةً أخرى، ينبغي أن يشترك فيها البشر جميعاً، وهي أكل الطّعام الطّيب الحلال فقط، كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة: ١٦٨]. تهدف الآية بخطابها العامّ للنّاس كلّهم إلى أن يأكلوا من جميع ما في الأرض، من حبوب، وثمار، وفواكه، وحيوانات، بتوقّر شرطين: الشرط الأول: أن يكون حلالاً تناوله، بأن لا يكون مغصوباً ولا مسروقاً، ولا محصلاً بمعاملة محرّمة، أو على وجه محرّم، أو معيّن على محرّم. والشرط الثاني: أن يكون طاهراً طيّباً، بأن لا يكون خبيثاً، كالميتة والدّم، ولحم الخنزير والخبائث كلّها (السّعدي، (٢٠٠٠م)، ٨٠).

وفي الآية ضرورة حفظ أموال النّاس، وعدم المسّ بمملوك الغير، سواء كان مُلْكاً فرديّاً، أو مُلْكاً عامّاً كملك الدّولة، فكسب المال يجب أن يكون عن طريق مشروع، كما ينبغي أن لا تتخذ الأطعمة المؤذية والمضرة محلّ المعاملات والبيع، كبيع الخمر المضرّ للعقل، وكبيع الأشياء المنتهية صلاحياتها، وكبيع السّلاح بشكل غير قانونيّ يسبّب التّعارك والافتتال بين النّاس. ولا فرق في ذلك بين أهل الإيمان وغيرهم، فحفظ أموال النّاس واجب شرعيّ كما بيّنتها الآية.

خامساً: حرمة الاعتداء على الغير

سبق في النقطة الثالثة والرّابعة أنّ الأمر بالتّقوى وأكل الحلال الطّيب في الآيات التي ورد فيها النّداء بـ(يا أيّها النّاس) يشمل عدم التّعريض لأرواح النّاس وأموالهم... وتقيد آية أخرى الرّسالة نفسها بصورة مستقلة، وأنّ الإنسان في

الإسلام تعني امتناع الإنسان عن الظلم والبغي، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [يونس: ٢٣]، فبين سبحانه وتعالى حرمة الظلم، وأن عاقبة الظلم تعود على أصحابه، وقوله تعالى (بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) إشارة إلى أن بغي الناس بمثابة بغي النفس؛ لأنهم جميعاً من نفس واحدة، ينبغي الكف عن الظلم والإيذاء، وأن من يفسدون في الأرض ويبغون يذوقون عاقبة بغبيهم في الدنيا قبل الآخرة، وعلى الحاكم أن يجازي الظالمين في الدنيا (قطب، (١٤١٢هـ)، ١٧٧٤/٣. (الطنطاوي، (١٩٨٨م)، ٥٣/٧).

هذه هي أهم الدروس العامة المأخوذة من آيات نداء الله بـ(أيها الناس).

المبحث الثاني: رسالة الإسلام الإنسانية في نداء الله بـ (يا أيها الناس)

يكون التركيز في هذا المبحث على الآيات التي تنص على رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وربطها بالإنسان والإنسانية داخل منظومة الآيات نفسها؛ إذ تبين في المبحث السابق أن القرآن أورد نصوصاً صريحة في مخاطبة الجميع بالإنسان، وأورد نصوصاً أيضاً في الإطار نفسه متعلقة بإنسانية الرسالة، وهذا ما يحاول الباحث الوصول إليه.

المطلب الأول: إنسانية الرسالة الإسلامية في النداء بـ(أيها الناس)

اتفق المسلمون على أن الله تعالى أرسل رسوله محمداً (صلى الله عليه وسلم) إلى الناس كافة، دون استثناء قومية وأخرى، وشعب وآخر، ودون النظر إلى دينهم ومذهبهم، وهذا إضافة إلى آيات صريحة في ذلك، يتطابق تماماً مع فتح باب الحوار مع جميع الشرائح في المجتمع، فالآيات التي ينادي فيها الله تعالى بـ(أيها الناس) مقرونة برسالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تحيط بهم جميعاً، منها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ١٧٠]. و(الناس) هنا وإن يعنى

به مشركوا العرب وسائر أصناف الكفر؛ إذ ورد أثناء الحديث عن أهل الكتاب والمشركين والكافرين الذين يصدّون عن سبيل الله، لكنّه تعالى لم يخصّص الدّعوة بالمشرّكين فقط، بل أوردّها بصيغة عامّة تشمل الإنسانيّة جمعاء، فذكر خطاباً عامّاً يعمّهم وغيرهم في الدّعوة إلى دين النّبيّ محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) (الطّبري، (٢٠٠٠م)، ٩/ ٤١٢. و: ابن الجوزي، (١٤٢٢هـ)، ١/ ٥٠٠. و: الرّازي، (١٤٢٠هـ)، ١١/ ٢٧٠).

ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ، بل جاء القرآن بعد تعداد مزاعم غير المسلمين من المنافقين والكفّار واليهود والنّصارى، ليورد الحجّة عليهم، ويجب عن جميع شبهاتهم، ويبيّن بطلان ما هم عليه من فنون الضّلال، ويلزمهم بالبراهين القاطعة، ثمّ يعتمّ الخطاب مرّة أخرى في السّورة نفسها، ويدعو جميع النّاس إلى الإقرار والاعتراف برسالة نبيّنا محمّد (صلّى الله عليه وسلّم)، فقال: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا نُورًا مُبِينًا}** [النساء: ١٧٤]، والبرهان هو النّبيّ محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) (ابن أبي حاتم، (١٤١٩هـ)، ٢/ ٤٨١. و: الرّازي، (١٤٢٠هـ)، ١١/ ٢٧٤. و: العمادي، ٢/ ٢٦٢).

وفي سورة الأعراف تحدّث القرآن الكريم عن نعوّث النّبيّ محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) في التّوراة والإنجيل، وشرف من يتّبعه من أهلهم، ونيلهم سعادة الدارين، وفصل في مهام هذا النّبيّ المُبشّر به من كونه (صلّى الله عليه وسلّم) **{يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}** [الأعراف: ١٥٧]، ثمّ قال مباشرة: **{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}** [الأعراف: ١٥٨]. وقد تناول القرآن هنا الحديث عن أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، فأمر الله (سبحانه وتعالى) نبيّه بإشهار دعوته، وبيان أنّ السعادة المبغيّة من دعوته غيرُ مختصّة بأحدٍ سواء كان من قومه أو غيره، بل شاملةٌ لكلّ من يتّبعه كائنًا من كان، وذلك ببيان عموم رسالته للنّاس كلّهم، وأنّه رسول الله إليهم جميعاً، ولذلك أردفه بقوله **(جَمِيعًا)** وهو حال من **(إِلَيْكُمْ)** الضمير العائد إلى النّاس؛ لتأكيد أنّ النّبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) كان مبعوثاً إلى النّاس كافّة، بل إلى الجنّ والإنس عامّة، وإلى من وجد

في عصره ومن سيوجد بعده إلى يوم القيامة (الطبري، (٢٠٠٠م)، ١٣/ ١٧٠. و: الأندلسي، (١٤٢٢هـ)، ٢/ ٤٦٥. و: العمادي، ٣/ ٢٨٠. و: التفسير المظهري ٣/ (٤١٩).

وكذلك قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الحج: ٤٩]، فالآية تخاطب مشركي مكة بأن الله أرسل رسوله محمداً (صلى الله عليه وسلم) نذيراً لهم، لكنها أوردت صيغة الإنذار للناس وعممت الخطاب للجميع، وعلى هذا يكون الخطاب للناس كافة، وللمشركين من أهل مكة خاصة، فكما أن تبيينه بالسعادة يشمل الجميع، فإنذاره يشمل الجميع أيضاً، ولا يختص بهما قومية دون أخرى، وهذا يتطابق تماماً مع شمولية الرسالة وعالميتها (البيضاوي، (١٤١٨هـ)، ٤/ ٧٥. و: الألوسي، (١٤١٥هـ)، ٩/ ١٦٣. و: أبو زهرة، ٩/ ٥٠٠٢. و: السعدي، (٢٠٠٠م)، ٥٤١/).

وبناءً على ما سبق يتضح أن الرسالة الإسلامية رسالة عالمية تتسع للجميع، وتدعو الجميع، وهذا يجعل من حاملي دعوتها أن يكونوا على مستوى العالمية، وأن يفتحوا صدورهم للناس قاطبة، وأن يكونوا من أهل الإصلاح للعالم كله، وإلا فلن يكونوا أهلاً لهذا العمل الإصلاحي العالمي، ومن هذا المنطلق وصلوا برسالة الإسلام إلى شرق الدنيا وغربها، وبقيت شامخة رغم تعرضها لمؤامرات خارجية حيكّت لصدّها، والحدّ من انتشارها، ومناфسات سلبية داخلية تآكلت بها قوة أتباعها.

المطلب الثاني: رحمة الرسالة الإسلامية في النداء بـ(أيّها الناس)

من خلال النظر في الآيات المتصدّرة بـ(يَا أَيُّهَا النَّاسُ) (نداء من الله تعالى إلى جميع البشرية) يلاحظ الباحث رحمة هذه الرسالة، بمعنى أنّها جاءت بصورة عامّة؛ كي ينالها الجميع ولو كانوا غير مسلمين، ولولا ذلك لما استحققت العالمية، وقد صرّحت بذلك آيات أخرى كما سنتطرّق إليها.

ومن البين أن الله تعالى اختار محمداً بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين، وأنزل إليه القرآن رسالته الخالدة ليبشّر به من يستجيب له، وينذر به من يدير

ظهره نحوه، وقد نادى البشرية بأن هذه الرسالة موعظةً منه، وشفاءً لما في الصدور، وهي رحمة للمؤمنين به، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٥٧]، فأفرد هنا المؤمنين بالرحمة ربّما لاقتنائها بكونها موعظةً وشفاءً وهدى؛ لأنّ القرآن إنّما يتّعظ به من يؤمن به، ويشفي صدور المؤمنين، ويصلون به إلى الهداية بإذن الله، وهذه الصفات الأربع: (الموعظة، والشفاء، والهداية الموصلة، والرحمة) إنّما تجتمع في المؤمنين فقط، أي أفراد الرحمة بالمؤمنين إنّما ورد في اجتماعها مع غيرها من الصفات المذكورة، وهي لا تكون إلاّ للمؤمنين. ولما انفردت الرحمة في غيرها من الآيات جاءت للعالمين جميعاً، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]، فلم تختصّ هنا بالمؤمنين فقط، والملاحظ في سياق الآية أنّ الله سبحانه أخبر أنّ عباده الصّالحين يرثون الأرض وقال: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: ١٠٥]، ثمّ بيّن {إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ} [الأنبياء: ١٠٦]، وكونه بلاغاً لقوم عابدين لا يعني قصر الرحمة عليهم، بل إنّها تشملهم وتشمل غيرهم، ولهذا عقب مباشرة بقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]، فالمؤمنون العابدون هم الذين يستمعون إلى هذا البلاغ، حتّى كأنّه جاء إليهم، وأنّ العاقبة تكون للمخلصين منهم، ومع ذلك جاءت الرسالة رحمةً للجميع، وسدّ القرآن بذلك باب الظلم والطغيان، وفتح باب الرحمة والرّافة للعالمين.

والرّاجح أنّ المقصود بالعالمين في الآية الخلق جميعاً، ومنه المؤمنون والكافرون، وقد فصلّ المفسّرون في بيان وجه رحمته لهم، ولا يخرج ذلك عن مجرّد اجتهاداتٍ واستنباطاتٍ، وليس في الآية أنّه (صلّى الله عليه وسلّم) رحمةً لكلّ باعتبارٍ واحدٍ أو باعتبارين مختلفين بل أطلقت الرحمة دون التقييد باعتبارٍ محدّدٍ، وهذا لا يخالف تعدّد التّعامل معهم على اختلاف مواقفهم من الولاء والعداء وعدم التّعريض لجمع المسلمين (الطّبري، (٢٠٠٠م)، ١٨/ ٥٥٢. و: السمعاني، (١٩٩٧م)، ٣/ ٤١٣. و: الرّازي، (١٤٢٠هـ)، ٢٢/ ١٩٤).

وفي الأحاديث الشّريفة ما يؤكّد حقيقة رحمته (صلّى الله عليه وسلّم) للنّاس كافّةً، منها ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قيل: يَا

رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً» (النيسابوري، (بدون تاريخ)، ٤/ ٢٠٠٦، رقم الحديث: ٢٥٩٩). وهذا الجواب ولا سيما في موقف الحديث عن الدِّعاء على المشركين الَّذِ أَعْدَاهُ، وَأَبْعَدَ النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ، دَلِيلٌ صَارِحٌ فِي شَمُولِيَّةِ رَحْمَتِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ، فَلَمْ يَلْعَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَمْ يَدْعُ عَلَيْهِمُ بِالسَّوَاءِ، وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ رَبطَ بَعَثَتَهُ بِالرَّحْمَةِ.

وفي ذكر {الْأَرْحَامِ} في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١] إشارة إلى ضرورة العناية بالتراحم فيما بين الناس، والشُّعور دائمًا بأنهم جميعًا داخل أسرة واحدة؛ إذ الرِّجَالُ والنِّسَاءُ من نفسٍ واحدةٍ. ومن هذا القبيل قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} [الروم: ٢١]، وقوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} [التوبة: ١٢٨]. وإذا كانت الإنسانية عبارة عن أسرة واحدة فعليهم أن يعطوها حقها كما أمر الله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} فالأرحام معطوفٌ على الاسم الكريم، أي {وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ} أن تقطعوها، أو اتقوا إضاعة حقِّ الأرحام بأن تصلوها، ولا تقطعوها، وهذا هو عين الرِّحمة، وبها أرسل نبيِّ الرِّحمة، وكان رحمة مهداة (رضا، (١٩٩٠م)، ٤/ ٢٧٢).

ولمَّا كان المراد -والله أعلم- بالآية تثبيت روح الأخوة الإنسانية فجمع (سبحانه وتعالى) بين (تقوى الرَّبِّ) و(تقوى الأرحام)، وأشار بذلك إلى وحدة الإنسانية في أمرين اثنين، وهما "أولاً: وحدة الرِّبوبيَّة، فإنَّ رَبَّكُمْ واحدٌ، إذ قال تعالى: {اتَّقُوا رَبَّكُمُ} الَّذِي هُوَ رَبُّ الْجَمِيعِ، رَبُّ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْعَرَبِيِّ وَالْأَعْجَمِيِّ، وَالْعَالَمِ وَالْجَاهِلِ، فَصَلَّةُ الْجَمِيعِ بِهِ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ صَلَّةُ الرِّبوبيَّة، وَإِنَّ هَذِهِ الصَّلَّةَ تَوْجِبُ أَنْ يَشْعُرَ الْجَمِيعُ بِأَنَّهُ لَا فَضْلَ لْجِنْسِ عَلَى جِنْسٍ، وَلَا لِلْوَنِّ عَلَى لَوْنٍ إِلَّا بِمِقْدَارِ الْإِتِّصَالِ الرُّوْحِيِّ بِخَالِقِ الْخَلْقِ، وَذَلِكَ بِالتَّقْوَى، فَهَذِهِ الصَّلَّةُ مَقْوِيَّةٌ لِلأَمْرِ بِالتَّقْوَى، وَأَنَّهَا مَنَاطُ التَّفْضِيلِ، وَهِيَ سَبِيلُ قُوَّةِ الصَّلَّةِ الرَّابِطَةِ. وَثَانِيًا: وَحدة التَّكْوِينِ وَالْإِنْسَانِ، فَالْكَلُّ يَنْتَهِي إِلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ الْجِنْسُ الْعَامُّ الْجَامِعُ، مَهْمَا يَغْلُ ابن آدم أو يَنْخَفِضُ فإلى هَذِهِ النَّفْسِ يَنْتَمِي، وَبِهَذِهِ الْأَخُوَّةِ الْعَامَّةِ يَرْتَبِطُ" (أبو زهرة، ٣/ ١٥٧٤).

ومن واجب المسلمين عدم نسيان هذه الرحمة في حياتهم اليومية، وهي جزء من رسالتهم، ولا شك أن هذه الرحمة تتقوى وتتعمق حينما تتصل بالتعامل مع المسلمين فيما بينهم؛ لأنهم إخوة في الإيمان أيضاً، ومن هنا يضاف عنصر الإيمان، وتجتمع الأخوة الإيمانية مع الأخوة الإنسانية، كما أن رحمة النبي (صلى الله عليه وسلم) تتضاعف تجاه المسلمين، فينبغي أن يتحلى بها المؤمنون أيضاً وهذا هو الاقتداء.

ومن رحمة الإسلام أنه جعل كرامة الإنسان في إنسانيته مجرداً عن هويّاته الأخرى كالقومية والجنسية والدينية وغيرها، فقال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠]. وجعل العلم معيار تفوق إنسانيته، ولذلك لما أخبر الله (سبحانه وتعالى) الملائكة بأنه {جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠] فكان أول ما فضل به آدم (عليه السلام) على الملائكة هو العلم، فقال: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: ٣١]. وهذا يعدّ الميزة الأولى لبني آدم. وجعل العدل معياراً آخر يتمسك به الإنسان في أحكامه وقراراته، وذلك دون التفرقة بين معتنقيه وغيرهم، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقُومٍ عَلَىٰ وَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨] فأمر الله المؤمنين أن يقوموا لله بالحق في كل ما يلزمه، وليكن من أخلاقهم وصفاتهم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائهم وأعدائهم، ولا يحابوا من شهادتهم أهل وُدِّهم وقراباتهم، ولا تمنع شهادتهم أعداءهم وأضدادهم، ولا يحملنهم بغض قوم على أن لا يعدلوا في حكمهم فيهم، وسيرتهم بينهم، فيجوروا عليهم من أجل ما بينهم وبين هؤلاء من العداوة. ثم بيّن تعالى علّة العدل ببيان أنه أقرب إلى الاتّقاء من معاصي الله (الطبري، (٢٠٠٠م)، ٩٥ / ١٠. و: ابن عادل، (١٩٩٨م)، ٧ / ٢٤٢-٢٤٣).

وهاتان الميزتان وغيرهما من الأعمال الصالحة تدخل في التقوى الموضوع معياراً للتفاضل بين الناس في قوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣]. لذا فلو أراد الناس الفخر فليفخروا بالتقوى وبالعامل الصالح،

والعمل الصّالح يشمل العبادة بمعناها العام ممّا يعود بالخير إلى النّاس (الطنطاوي، (١٩٨٨م)، ١٣ / ٣١٩. و: الهرري، (٢٠٠١م)، ٢٧ / ٣٨١).

المطلب الثالث: نماذجُ تطبيقيّة في حياة الرّسول الأكرم (صلى الله عليه وسلّم)

بما أنّ الإسلام دينٌ عمليٌّ وواقعيٌّ لا يبقى في بوتقة النّظريات، وإنّما يتجاوز لتطبيق نظريّاته في ميدان واقع الحياة، وهذا ما نراه في سيرة الرّسول الأكرم (صلى الله عليه وسلّم)، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) حقّاً قرأنا يمشي بين النّاس، أو تفسيراً عمليّاً وتطبيقيّاً لكلام الله تعالى فقد أكرّم الإنسان لإنسانيّته، بقطع النّظر عن كونه من قوميّة كذا أو دين كذا أو منطقة كذا، ونجد أمثلة كثيرة من تقديره (صلى الله عليه وسلّم) للإنسانيّة على التّدين ما يؤكّد قيامه (صلى الله عليه وسلّم) بمهامه الإنسانيّة انطلاقاً من الرّسالة الرّبّانية في القرآن الكريم، وليس هذا غريباً في حقّ من أمره الله تبارك وتعالى في حقّ أهل الكتاب: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ١٠٩]. وقال في أمر المشركين: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: ٨٩]. وفيما يلي نذكر نماذج توضّح هذه الحقيقة.

أولاً: دفاع النّبي (صلى الله عليه وسلّم) عن سكّير

كان رجلٌ يشرب الخمر في عهد النّبي (صلى الله عليه وسلّم)، وأتّى به إليه (صلى الله عليه وسلّم)؛ للمثول أمام المحكمة نتيجة ارتكابه مخالفة شرعيّة في نظر الإسلام، وتكرّر منه ذلك، فأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فقال النّبي (صلى الله عليه وسلّم): «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (البخاري، (١٤٢٢هـ)، ٨ / ١٥٨، رقم الحديث: ٦٧٨٠).

لم يسمح النّبي (صلى الله عليه وسلّم) بإهانة الرّجل مع أنّه أُتِيَ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، وعاد إلى ذنبه، وكان من الصّحابة من رآه مستحقّاً للاستهزاء والإهانة، لكنّ نبيّ الرّحمة (صلى الله عليه وسلّم) لم يعط المجال لذلك؛ إذ الرّجل وإن ارتكب

ذنبًا يستحقّ الحدّ في نظر الإسلام، فلا يعني خروجه من دائرة الإنسانيّة، والنّشهير والإهانة إخراج للرجل من الإنسانيّة، وهذا ما لا يرتضيه الإسلام، وعليّنا بدّل ذلك أن نبحت عن نور إنسانيّته داخله.

ثانيًا: تقديم النّبي (صلّى الله عليه وسلّم) الإنسان على البنيان

شرع أعرابيٌّ في البول في المسجد النبويّ، وزجره النّاس بالسنتهم؛ لأنّه بال في ثابٍ مسجدٍ فضلاً في الإسلام، وفي حضرة الرّسول الأكرم (صلّى الله عليه وسلّم)، لكنّ نظرته (صلّى الله عليه وسلّم) اختلفت عن نظرته، فنظرته قاصرة في ارتكابه خطئاً في أقدس مكان، ونظرته (صلّى الله عليه وسلّم) إليه في دائرته الإنسانيّة، لذا نهاهم عن إهانته عن طريق الإيذاء بالزّجر والسّبّ والشتم (القسطلاني، (١٤٢٢هـ)، ١/٢٩٠. و: الهروي، (٢٠٠٢م)، ٢/٤٦٠) وقال: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبْسَرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعْسَرِينَ» (البخاري، (١٤٢٢هـ)، ٨/٣٠، رقم الحديث: ٦١٢٨).

ثالثًا: عون المحتاجين لإنسانيّتهم

من صفاته (صلّى الله عليه وسلّم) أنّه كان يكرم النّاس، ويساعدهم دون استثناء أحدٍ من بذل صدقاته، وكان في عون الفقير كما كان في عون الغني فيما يحتاج إليه، ويرجع ذلك إلى أنّ المعتمد عنده (صلّى الله عليه وسلّم) هو الإنسانيّة دون الفوارق الأخرى، ومن هذا القبيل ما روي عن عبد الله بن أبي أوفى (رضي الله عنه)، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلّى الله عليه وسلّم) يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيَقُلُّ اللَّعْنَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيَقْصِرُ الْخُطْبَةَ، وَلَا يَأْتِفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ أَوْ الْمُسْكِينِ، فَيَقْضِيَ حَاجَتَهُ» (التميمي، (٩٨٨م)، ١٤/٣٣٣، رقم الحديث: ٦٤٢٣).

رابعًا: الإضرار بالنفس للعبادة عصيانٌ

إذا تضرّر الإنسان بأداء مهام العبادة فيقدّم هو على العبادة، ولهذا أباح الله الإفطار وقت الشدّة من سفرٍ أو مرضٍ مثلاً، وأحلّ الميتة وقت الاضطرار، ومن

هنا أسّس العلماء قاعدة مفادها أنّ مقصد النَّفس مقدّم على وسائل مقصد الدّين، وإذا تعارضت المقاصد مع الوسائل فيقدّم المقصد على الوسائل، وقد رأى الصّحابة (رضوان الله عليهم) مثل هذه الحالة مع النّبّي (صلّى الله عليه وسلّم) بأعينهم، فروي عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) خرج عام الفتح إلى مكّة في رمضان، فصام حتّى بلغ كراع الغميم، فصام النّاس، ثمّ دعا بقدر من ماء، فرفعه، حتّى نظر النّاس إليه، ثمّ شرب، فقبل له بعد ذلك: إنّ بعض النّاس قد صام، فقال: «أُولَئِكَ الْعَصَاةُ، أُولَئِكَ الْعَصَاةُ» (التيسابوري، (بدون تاريخ)، ٢ / ٧٨٥، رقم الحديث: ١١١).

فقدّم النّبّي (صلّى الله عليه وسلّم) صحّة الإنسان على عبادة الصّوم، وعدّ الصّوم هنا عصيانياً لأمره، واستحقاقاً للعقوبة، وذلك إذا تضرّر الإنسان بصومه، ولحقته مشقّة، أو كان في فطره مصلحة ولو دنيويّة لا يقدر عليها صائماً، وإلّا فيجوز الصّوم في السّفر، ولا إثم على الصّائم، لكنّ النّظر هنا في تقديم الرّسول الأكرم (صلّى الله عليه وسلّم) الإنسان على العبادة، وهكذا نجد سماحة الإسلام ورحمته وكرمه بأهله (النووي، (١٣٩٢هـ)، ٧ / ٢٣٢. و: لاشين، (٢٠٠٢م)، ٤ / ٥٧٠).

خامساً: إدخال الفرح في قلوب الأبوين مقدّم على الجهاد

كان المسلمون بأمر من الحاجة إلى الجهاد في عصر الرّسالة، ليدافعوا به عن أرواحهم ودينهم وأموالهم ومدينتهم، ومع ذلك نجد صحابياً جاء مجاهداً، فأرجعه النّبّي (صلّى الله عليه وسلّم) كي يضحك أبويه، كما روى أنّ رجلاً جاء إليه، فقال: جنّت أبايك على الهجرة، وتركك أبوي يبيكان، فقال: "ارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما" (السيّستاني، (بدون تاريخ)، ٤ / ١٨٢، رقم الحديث: ٢٥٢٨)، وليس هذا إلّا نابعاً عن إنسانيّة الإسلام، ومراعاته أحوال النّاس، وإلّا فكيف يأمر جندياً بالعودة وقد جاء حاملاً معه سيف الجهاد، وكانت رؤية الوالد مبتسماً والأُم ضاحكة أمّه عنده (صلّى الله عليه وسلّم) آنذاك من فداء النَّفس في سبيل الله.

ومثله ما روي عن عبّد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما)، قال: جاء رجل إلى النّبّي (صلّى الله عليه وسلّم) يُبَايعُهُ، قال: جنّت لأبايك على

الْهَجْرَةَ، وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَيْهِمَا، فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا» (السَّجِسْتَانِي، (بدون تاريخ)، ١٧ / ٣. الشَّيْبَانِي، (٢٠٠١م)، ١١ / ٣٠).

سادسًا: تخفيف الصَّلَاةِ مراعاة لذوي الحاجة

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» (البخاري، (١٤٢٢هـ)، ١ / ١٤٢، رقم الحديث: ٧٠٣. النيسابوري، (بدون تاريخ)، ١ / ٣٤١، رقم الحديث: ٤٦٧). وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَاتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ» (البخاري، (١٤٢٢هـ)، ١ / ١٤٣، رقم الحديث: ٧٠٩).

وفي الحديثين دلالة على أَنَّ الإمامَ يَتَّبِعِي عليه مراعاة أحوال الناس، وَهَذَا لَا خِلَافَ فِيهِ، وَمَنْ ذَلِكَ أَنَّ الْحَاجَةَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا عَذْرٌ فِي تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ (العيني، (بدون تاريخ)، ٥ / ٢٤٠).

سابعًا: النهي عن ضرب الغلام والمملوك

قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَذَرِيُّ (رضي الله عنه): كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي، «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا (النيسابوري، (بدون تاريخ)، ٣ / ١٢٨٠، رقم الحديث: ١٦٥٩). قال الإمام النووي: "فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الرَّفْقِ بِالمَمْلُوكِ، وَالْوَعْظُ وَالتَّنْبِيهُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْعَفْوِ، وَكُظْمِ الْعَيْظِ، وَالْحُكْمُ كَمَا يَحْكُمُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ" (النووي، (١٣٩٢هـ)، ١١ / ١٣٠).

التوصية

في ختام هذا البحث أدعو الباحثين للتركيز على هذا الجانب من خلال آياتٍ أخرى في القرآن الكريم، كما أطلب من المعنّيين بالتربية لدراسة هذا الموضوع في ضوء القرآن الكريم، واستنباط موضوعاتٍ أخلاقية، وصياغتها في المناهج التربوية بما يتناسب مع تنشئة الأجيال القادمة على الروح الإنسانية، وتكريم الإنسان لذاته، والابتعاد عن السخرية والإهانة والإضرار بالآخرين، ونبذ الكراهية والإهانة، وتوسعة دائرة الحوار ليشمل كافة القوميات والألوان والأديان لأنهم في نهاية المطاف إخوة في الإنسانية.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (١٤١٥هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، (١٤١٩هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (ط٣)، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (١٤٢٢هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي.

- ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)،
اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي
محمد معوض، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، (١٩٨٤ م)،
تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس،
تونس العاصمة، الدار التونسية.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي،
(١٩٧٩ م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، لبنان،
بيروت، دار الفكر.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
الدمشقي، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن
محمد سلامة، (ط٢)، مصر، القاهرة، دار طيبة.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، (١٤١٤ هـ)، لسان العرب،
(ط٣)، لبنان، بيروت، دار صادر.
- أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، (بدون تاريخ)، زهرة
التفاسير، (بدون طبعة)، لبنان، بيروت، دار الفكر العربي.
- إسماعيل، محمد بكر إسماعيل، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م)، دراسات في علوم
القرآن، الطبعة الثانية، السعودية، دار المنار.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، (١٤٣٠ هـ -
٢٠٠٩ م)، مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف
بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، (ط٤)، سورية، دمشق.
لبنان، بيروت، الدار الشامية.

- الأندلسي، أثير الدين بو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، (١٤٢٠ هـ)، البحر المحيط في التفسير، لبنان، بيروت، دار الفكر.
- الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، (١٤٢٢ هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، لبنان، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (١٤٢٢ هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١)، لبنان، بيروت، دار طوق النجاة.
- بنت الشاطئ، دكتورة عائشة عبد الرحمن، (١٩٩٩ م)، القرآن وقضايا الإنسان، (بدون طبعة)، مصر، القاهرة، دار المعارف.
- البوطي، الدكتور محمد سعيد رمضان، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)، منهج الحضارة الإسلامية في القرآن، ط٧، سورية، دمشق، دار الفكر/ لبنان، بيروت، دار الفكر المعاصر.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، (١٤١٨ هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١)، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.
- التميمي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- الجفري، حبيب علي، (٢٠١٨م)، القيم الإنسانية وضابط الدين، مجلة حراء ٤٤/٦٩ع، السنة الرابعة عشرة.
- الحميري، شوان بن سعيد، (١٩٩٩م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د. يوسف محمد عبد الله، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الفكر المعاصر، سورية، دمشق، دار الفكر.
- الخازن، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم، (١٤١٥ هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.
- دروزة، محمد عزت، (١٣٨٣هـ)، التفسير الحديث، مصر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.
- الرّازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، (١٤٢٠هـ)، مفاتيح الغيب، (ط٣)، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- رضا، محمد رشيد بن علي رضا، (١٩٩٠م)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الرّمّاح، د. إبراهيم بن عبد الله، (١٤٣٩هـ)، الإنسانويّة المستحيّلة، (ط٢)، السّعوديّة، الرّياض، مركز الدّلائل.
- الزّجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (ط١)، لبنان، بيروت، عالم الكتب.
- الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، (١٤١٨هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ط٢)، سورية، دمشق، دار الفكر المعاصر.

- الزّحيلي، الدّكتور محمّد، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، حقوق الإنسان في الإسلام، (ط٤)، سوريا، دمشق/ لبنان، بيروت، دار ابن كثير.
- الزّرقاني، محمد عبد العظيم، (بدون تاريخ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، (ط٣)، مصر، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر، (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١)، لبنان، بيروت، دار إحياء الكتب العربية.
- الزّمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (١٤٠٧هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، (ط٣)، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي.
- السامرائي، الدّكتور فاضل صالح السّامرائي، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، أسئلة بيانية في القرآن الكريم، ط١، سوريا- دمشق، لبنان - بيروت، دار ابن كثير.
- السّبيكي، بهاء الدّين أحمد بن علي بن عبد الكافي، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، لبنان، بيروت، المكتبة العصرية.
- السّجّستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق، (بدون تاريخ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بدون طبعة)، لبنان، بيروت، المكتبة العصرية.
- السّعدّي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط١)، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، بحر العلوم، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.

- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، (ط١)، السَّعُودِيَّة، الرياض، دار الوطن.
- السَّمين الحلبي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، عمدة الحَقَّاط في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)، الإِتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الشعراوي، محمد متولي، (١٩٩٧م)، الخواطر، مصر، القاهرة، مطابع أخبار اليوم.
- الشَّيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، (ط١)، الطَّبعة الأولى، لبنان، بيروت، مؤسسة الرِّسالة.
- الطَّبَّري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط١)، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.
- الطَّعان، أحمد إدريس، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، العلمانيون والقرآن الكريم، (ط١)، السَّعُودِيَّة، الرياض، دار ابن حزم.
- الطنطاوي، محمد سيد، (١٩٨٨م)، الوسيط للقرآن الكريم، مصر، القاهرة، دار نهضة مصر ٨.

- الطَّيَّار، د مساعد بن سليمان بن ناصر، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، المحرَّر في علوم القرآن، (ط٢)، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)، الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عثمان، (ط١)، مصر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.
- العقَّاد، عباس محمود العقَّاد، (٢٠٠٥م)، الإنسان في القرآن، ط٤، مصر، القاهرة، نهضة مصر.
- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى، (بدون تاريخ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- عويس، د. عبد الحليم عويس، (٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م)، إنسانيَّات الإسلام، (ط١)، السَّعوديَّة، الرِّياض، دار العبيكان.
- العيني، بدر الدِّين أبو محمد محمود بن أحمد، (بدون تاريخ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (بدون طبعة)، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، (١٤١٨ هـ)، محاسن التَّأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.
- القرطبي، شمس الدِّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢)، مصر، القاهرة.
- القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، (١٣٢٣ هـ)، إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري، (ط٧)، مصر، القاهرة.

- القُطّان، مناع القطان، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، مباحث في علوم القرآن، (ط٣)، المملكة العربيّة السّعوديّة، الرياض، مكتبة المعارف.
- قطب، سيد قطب إبراهيم حسين، (١٤١٢هـ)، في ظلال القرآن، (ط١٧)، مصر، القاهرة، دار الشّروق.
- القنّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، فتح البيان في مقاصد القرآن، (بدون طبعة)، لبنان، بيروت - صيدا، المكتبة العصريّة.
- گولن، محمّد فتح الله، (٢٠١٨م)، الغرباء، (ط١)، مصر، القاهرة، دار الانبعاث.
- لاشين، د. موسى شاهين، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، (ط١)، مصر، القاهرة، دار الشّروق.
- لوقا، نظمي، (١٩٥٩م)، محمّد الرّسالة والرّسول، (ط١)، مصر، القاهرة، دار الكتب الحديثّة.
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، تأويلات أهل السنّة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الكتب العلميّة.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد، (بدون تاريخ)، النّكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، لبنان، بيروت، دار الكتب العلميّة.
- محمّد الرّازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (١٩٩٩م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطّبعة الخامسة، لبنان، بيروت - صيدا، المكتبة العصريّة - الدار النموذجيّة.

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، (٢٠١١م)، المعجم الوسيط، (ط٥)، مصر، القاهرة، دار الدّعوة.
- المراغي، أحمد مصطفى، (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م)، تفسير المراغي، (ط١)، مصر، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (بدون تاريخ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، (بدون طبعة)، الكويت، دار الهداية.
- مرزوق، عبد الصبور، (٢٠٠٦م)، رسائل إلى عقل الغرب وضميره: عالميّة الإسلام وإنسانيّته، (ط١)، مصر، القاهرة، الدّار المصريّة اللبنانيّة.
- مركز تفسير، (١٤٤٠هـ)، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مجموعة من الباحثين برعاية مركز تفسير للدراسات القرآنيّة، ط١، السّعوديّة، الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنيّة.
- المظهري، محمد ثناء الله، (١٤١٢هـ)، التفسير المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، الباكستان، مكتبة الرشدية.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، (١٤٢١هـ)، إعراب القرآن، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الكتب العلميّة.
- النّسفي، حافظ الدّين أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الكلم الطيب.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (١٣٩٢هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (ط٢)، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- النّيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، (بدون تاريخ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بدون طبعة)، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الهرري، محمد الأمين بن عبد الله، (٢٠٠١م)، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، (ط١)، لبنان، بيروت، دار طوق النجاة.
- الهروي القاري، نور الدين أبو الحسن علي بن (سلطان) محمد، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الفكر.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، (١٤١٥ هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (ط١)، سورية، دمشق، دار القلم. لبنان، بيروت، دار الشّامية.

الخاتمة

بعد البحث والدراسة للآيات التي جاء نداء الله فيها بـ (يا أيُّها النَّاس) توصَّل الباحث إلى نتائج، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١/ ورد نداء الله تعالى بـ(يا أيُّها النَّاس) في القرآن الكريم تسعة عشر مرّة، منقسمةً إلى نداء الله سبحانه وتعالى مباشرةً بـ(يا أيُّها النَّاس)، وعن طريق أمره النَّبِيِّ (صَلَّى الله عليه وسلَّم) ذلك النَّداء في أسلوب الدَّعوة إلى الله.

٢/ يتنوّع المخاطب في نداء الله تعالى بـ(يا أيُّها النَّاس) بين عموم النَّاس، والمؤمنين، والمشرّكين، وبهذا تناول الخطاب القرآني البشريّة بأكملها دون استثناء.

٣/ الرّاجح أنّ الخطاب القرآني في نداء الله تعالى بـ(يا أيُّها النَّاس) يراد به عموم النَّاس دون الاحتياج إلى دليلٍ خارجيّ، وإن ورد في سياق الخصوص، ولم يرد عن أحدٍ من المفسّرين تخصيصه بأناسٍ معيّنين إلّا إذا وجد دليلٌ خارجيّ، وهذا ما لم يوجد في تلك النّداءات.

٤/ في اختيار القرآن (النَّاس) في تلك النّداءات بدل غيره من الأديان والعقائد والمذاهب والأفكار والعرفيّات إشارةً إلى ضرورة اختيار المساحات المشتركة، والتّعاون على الالتزام بها، والابتعاد عن المصطلحات المنفّرة، والعبارات الجارحة.

٥/ لا ينحصر نداء الله تعالى بـ(يا أيُّها النَّاس) في الجانب النظري والحواري فقط، بل يقدّم دروساً تربويّةً مشتركةً، منها الأخوةُ الإنسانيّة، والتّقاربُ بين النَّاس عن طريق التّعارف، والابتعادُ عن الاستبعاد والإضرار بالآخرين، وأداء حقوق الله تعالى وحقوق النَّاس الماديّة والمعنويّة.

٦/ تفيّد نداءات الله تعالى بـ(يا أيُّها النَّاس) دروساً تربويّة تدلّ على كون الإسلام رسالةً إنسانيّةً عالميّةً، ورسالتها رحمةً للعالمين.

٧ / الإسلام دينٌ عمليٌّ وواقعيٌّ، ومن هنا طبّق النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا الجانب الإنساني في حياته، ولم يسمح أن يتخذ ارتكاب الذنوب ذريعةً لمحو إنسانيّة المذنبين، ونظر إليهم بنظر الرحمة والشفقة، كما قدّم إكرام الإنسان على المسجد أفضل الأماكن في الإسلام، وكان في عون المحتاجين دون التفرقة، وعدّ الإضرار بالنفس في سبيل العبادة عيباً، وقدّم إدخال الفرح في قلب الإنسان المحتاج على الجهاد، وخفّف الصلاة من أجل ذوي الحاجة، ونهى عن ضرب الضعفاء وإيذائهم.

پوخته:

ئەم تۆيژينه وهيه به ناو نيشانی (سهنته ربوونی مروّف له پيگه ياندنی كه سايه تی مسولمان)، ئەو ئايه تانه له خۆده گريّت كه له قورئانی پيرۆزدا خواي گه وره به: (يا أيها الناس - ئەي خه لكينه) بانگی مروّف دهكات، كه نۆزده ئايه تن، په يوهنديان به (لايه نی مرویی) په یامی ئیسلامه وه ههيه، ئەمەش يه كيكه لهو بابە تانه ی له روژگاری ئەمرودا له سەر ئاستی جيهان قسه و باسی لیه دهكريّت. جا له ميانه ی شروقه کردنی ئەو ئايه تانه هه ولده دهين بۆ روونکردنه وه ی ئاستی گشتگیری گوتاری قورئان و هه مه گیری و ميه ره بانی ئیسلام بۆ ته وای خه لك. جا هه رچه نده هه نديك لهو ئايه تانه له بنه ردا گوتاره كه يان گشتی بووه، هه نديکی ديكه بۆ كه سانیکي تاييه ت بووه له کاتي هاتنه خواره ويان، به لام هه موويان په يامه كه يان گشتيه، به مهش گوتاره كه ته وای مروفايه تی له خۆده گريّت. به کاره يانی وشه ی (الناس) بۆ بانگکردن له بری ناوی هه ر ئايين و نه ته وهيه ک، وانه يه کی په روه رديه يه بۆ کارکردن له سەر خالی هاوبهش و هه ماهه نگيکردن بۆ پابه ندبوون به مه ودا هاوبه شه کان. هه روه ها ئەو ئايه تانه کومه له په ياميکی مروفانهش له خۆده گرن، وهک براييه تی مروفانه،

نزيكبوونه وهى مروّقه كان له ريگه يه كترناسين، به جيّهينانى مافه كانى خواو مافه مادى و مه عنه وييه كانى مروّڤ، دووركه وتنه وه له چه وساندنه وهو سته مكردن له خه لك. هه موو ئه و پهمانهش هه لقولاوى پهمامى مروّقانه و جيهانى ئيسلامن، دهكرى نه وه كانى داهاتوو له سه ر ئه م شيوازه روحي و ئه خلاقويه جيهانييه په روه رده بكرين، ئه مهش له ژير سينه رى ئه و پهمانه ي گوزارشت له ناوه روكى ئيسلام ده كهن.

تويژينه وه كه له پيشه كيهك و سى باس پيكهاتوو، باسى يه كه م ريخوشكردنيكه دهرباره ي بابه ته ده ستپيكيه كانى تويژينه وه كه. باسى دووهميش دهرباره ي چوڼيه تى گفتوگو كردنه له گه ل مروّڤ له و ئايه تانه ي باس مان كرد. باسى سيته ميش دهرباره ي لايه نى مروّقانه ي پهمامى ئيسلامه، هه ر باسيكيش له سى بهش پيكهاتوون.

Abstract

This research, tagged with (the centrality of man in building the Muslim character) deals with the verses in which the call of God (ALLAH) Almighty is mentioned (oh people), which is nineteen verses related to the humanitarian message of Islam, which has been much talked about in these days in the world. Through the interpretation of those verses, we work to explain the universality of the discourse of the Qur'an, the comprehensiveness of its message, and its mercy to all people. Although the discourse in some of these appeals is public, and in others it is specific to certain people at the time of its descent, but the public is intended in all. And with this he covered the whole of humanity. And in choosing (people) instead of other beliefs and ethnicities, an educational gesture to the need to choose common spaces, and to cooperate in adhering to them. These verses also include human messages, such as the human fraternity, the rapprochement between people through acquaintance, the performance of God Almighty's human and material and moral rights of people, and avoids slavery and the injustice of others. These messages originated from the humanitarian and universal message of Islam. And it is possible to raise future generations with spiritual and moral education globally in light of these messages that express the essence of Islam.

The style of the research required its division into an introduction and three sections, the first topic is a preface to the introduction to the research, and the second topic includes human dialogue in the verses in which God's call was mentioned (oh people), and the third topic talks about the human message of Islam, and each topic consists of three demands .